آراء علماء الأندلس في تقرير عقيدة اليوم الآخر

البعث – الموقف – الجنة والنار – حكم الأطفال

إعداد

د . خالد بن ناصر الغامدي

الأستاذ المساعد بكلية أصول الدين

قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية– الرياض

مقدمة البحث

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً .

أمـــا بعـــد فمن نعم الله الجلية المتوالية أن جعل في كل جيل من أجيال أهل الإسلام وفي كل بقعة من بقاع العالم الإسلامي ، من يحمل دين هذه الأمة الراشدة ، ويبيـــن للناس دين الله الحق الذي أنزله على رسوله ﷺ ومن يعطف على المسلمين وعلـــى تعليمهم وتربيتهم كما يعطف على أبنائه . ولقد كان علماء الأندلس شامة بين العلمـــاء وشامة في الزمان فهم من نشر دين الله ودافع عنه وجاهد في سبيله ، وهم مـــن بينوا الاعتقاد الحق ، وهم من ردوا على المبطلين ، وهم من خلف هذا التراث العلمـــي الكبير ، وفيهم يصدق حديث المصطفى ﷺ عن أبي هريرة ﷺ : « يحمل هـــذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين »[١]

وقـــد آثرت أن أكتب عن ثلة من علماء الأندلس الذين بينوا المعتقد الحق في ركـــن هـــام من أركان الدين ، وهو ركن الإيمان باليوم الآخر . وسوف أتناول في هـــذا البحـــث أهـــم ما في اليوم الآخر من الأحداث ، وحسب ما يعتقده أهل السنة والجماعـــة من ترتيب تلك الأحداث والمواقف ، مما دلت عليه الأدلة الشرعية. ولقد تعـــددت اجتهادات العلماء في فهم النصوص الشرعية الدالة على أحداث ذلك اليوم العصـــيب ، وقد يخالف أحدهم الآخر بحسب فهم كل منهم للنصوص مما يسوغ فيه

---

(١) رواه سليمان بن أحمد الطبراني أبو القاسم الطبراني ، مسند الشاميين ، حمدي السلفي (دمشق: دار الرسالة ١٩٨٥) ، ط ١ ، ص: ٣٤٤ .

الخـــلاف كترتيـــب مواقـــف الحشر وحكم الأطفال في الآخرة ، ونحو ذلك . سائلاً المولـــى تعـــالى أن يتغمد هؤلاء العلماء بواسع رحمته وكريم مغفرته وسابغ عطائه ومننه وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

منهج البحث:

اجتمعـــت لدي في زمن مضى عدة إضبارات من كلام العلماء الأندلسيين في مسألة البعث والجزاء واليوم الآخر ومنازله عموماً ، وبما أن البحث في هذا يطول ويحتمل مجلـــدات عدة فقد آثرت ما يلي: ١-أن أتناول **بعض أشهر العلماء الأندلسيين** الذين تكلموا على مسائل هذا اليوم .

٢- ســـأورد من كلامهم ما يوصل إلى فهم المسائل التي تكلموا عليها ويبين عقيدتهم وجهدهم في بيان الحق المنتقى من كتاب الله وسنة نبيه ﷺ . وهذا في نظري يؤدي الغـــرض ويفـــي بـــالمطلوب ويكفـــي من القلادة ما أحاط بالعنق ، لزوماً والتزاماً للاختصار ، وقد تكونت خطة البحث على النحو التالي:

الفصل الأول:

النفخ في الصور ، وفيه

ما الصور وما الناقور ، وما سبب النفخ ؟

من الذي ينفخ في الصور

أول من يسمع النفخ وصعق الدنيا

هول النفخ

عدد النفخات في الصور

المدة بين النفختين

من الذي لا يصعق وأول من يفيق من الصعق

جواب على شبهة في الصيحة

الفصل الثاني ::

اليوم الآخر (يوم البعث) ، وفيه :

الحشر البدني (القيامة والبعث)

الأدلة على الإيمان بالبعث

أقسام أهل القبلة في الإيمان بالبعث

منكرو البعث والرد عليهم
أنواع الحشر
كيف يبعث الناس (ماء كمني الرجال)
أصناف المحشورين وكيف يحشرون
مكان الحشر

الفصل الثالث:موقف الحشر بأرض القيامة ، وفيه:

معنى تبديل الأرض والسماء وصفة أرض المحشر
مكان الناس يوم تبدل الأرض
مقدار موقف القيامة
أحوال في الموقف
أهوال الموقف
عقوبات في الموقف
النعيم في الموقف

الفصل الرابع: الشفاعة ، وفيه:

حكم الإيمان بها
أنواع الشفاعة
منكرو الشفاعة والرد عليهم
الشفاعة العظمى
الشفاعة في أهل الكبائر
شفاعة تخفيف العذاب عن أبي طالب
شفاعة النبي ﷺ خاصة لأهل المدينة
شفاعة ممنوعة

الفصل الخامس: العرض والحساب وفيه:

معنى الحساب وحكم الإيمان به والأدلة عليه
مكان العرض
أول ما يحاسب عليه ، وأول من يحاسب
فداء في الحساب

الفصل الأول

النفخ في الصور

من الأحداث والأهوال الكبار التي تمر على المخلوقات أن ينفخ الملك الموكل بالصـــور نفخـــة تفزع فيها المخلوقات ، فما الصور ؟ وما سبب النفخ ؟ ومن النافخ فيه؟

ما الصور وما الناقور ، وما سبب النفخ ؟

ذكـــر القرطبي في تفسيره لآيات النفخ في الصور ، كقوله تعالى: ﴿يوم ينفخ في الصور﴾ [١]. أنه «قرن ينفخ فيه النفخة الأولى للفناء والثانية للإنشاء» [٢].

وذكـــر فـــي تذكرته [٣] عن الترمذي حديث عبد الله بن عمرو بن العاصﷺ قـــال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال ما الصور؟ قال: «قرن ينفخ فيه» [٤]. قال هذا حديث حسن ، وذكر أحاديث أخرى في الباب .

وعند تأويل قوله تعالى: ﴿فإذا نقر في الناقور﴾ [٥] بين أنه النفخ في الصور ، والـــناقور فـــاعول من النقر، كأنه الذي من شأنه أن ينقر فيه للتصويت ، والنقر في كلام العرب الصوت [٦].

أما سبب نفخ الصور فقال: «قال علماؤنا رحمهم الله : فالنفخ في الصور إنما هو سبب لخروج أهل القبور وغيرهم..» [٧].

---

١ سورة طه الآية (١٠٢)

٢ أبـــو عـــبد الله محمد بن أحمد القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن (بيروت: دار إحياء التراث العربي ، مؤسسة العرفان) ، ج:٧ ، ص:٢٠

٣ انظر أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي ، التذكرة في أحوال الموتى وأمر الآخرة (القاهرة: دار الحديث) ، ط ١ ، ص: ١٥٥

٤ رواه محمـــد بـــن عيسى الترمذي ، الجامع الصحيح ، مراجعة: أحمد محمد شاكر ، وآخرون (بيروت: دار إحـــياء الـــتراث الإسلامي) ، ج:٤ ، ص:٦٢٠ كتاب صفة القيامة... ، باب ما جاء في شأن الصور . وابن حبان في صحيحه ٣٠٣/٦ ، باب إخباره ﷺ عن البعث.. . وأحمد في المسند ٢ / ١٦٢
الترمذي ٦٢٠/٤ ،

٥ سورة طه الآية (٨)

٦ انظر أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ج: ١٩ ، ص:٧٠ .

٧ أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي ، التذكرة ، ص: ١٥٤

من الذي ينفخ في الصور

اشتهر عند كثير من الناس أن إسرافيل عليه السلام هو الذي ينفخ في الصور . ولقد تكلـم العلمـاء فـي الأندلـس على النفخ وعينوه ، ولكن هل دلت على ذلك الآيات والأحاديث أم أنه اجتهاد منهم وفق بعض الآثار التي لم ترفع؟

ذهب القرطبي في تفسيره إلى أنه إسرافيل عليه السلام فقال: ﴿يتبعون الداعي﴾ [١]، يـريد إسـرافيل عليه السلام إذا نفخ في الصور» [٢]. وفي موضع آخر ذكر أنه جبريل أو إسرافيل هو الذي ينادي للحشر[٣] ، وذكر أقوالاً لأهل العلم .

وفـي تذكرته ذكر أن من ينفخ في الصور غير إسرافيل من حديث أبي نعيم، ثم ذكر حديثاً في الترمذي وغيره يدل على أن صاحب الصور هو إسرافيل عليه السلام[٤] ولم يذكر نص الحديث .

كمـا أنكـر -يرحمه الله- أن الصور جمع صورة ، أي أنه ينفخ في صور الموتى .

قلـت: بعد البحث والتقصي في الكتب الحديثية وجدت حديثاً يفيد أنه صاحب الصور هو إسرافيل وفيه:« يأمر الله إسرافيل بنفخة الصعقة فإذا هم خامدون.»[٥].

أول من يسمع النفخ وصعق الدنيا

وهـذا والله أعلم خاص بالنفخ الدنيوي قبل الساعة ، كما يظهر من الأدلة الشرعية ، وقد أورد القرطبي[٦] حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما :« ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحـد إلا أصـغى ليـتاً ورفع ليتا قال وأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله قال فيصعق ويصعق الناس .. »[٧]

---

١ سورة طه الآية (١٠٨)

٢ أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ج: ١١ ، ص: ٢٤٦

٣ انظر المصدر السابق ١٧ / ٢٧

٤ انظر أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي ، التذكرة ، ص ١٥٧ ، ١٥٨

٥ رواه هـبة الله بـن منصور اللالكائي ، أصول اعتقاد أهل السنة ، د. أحمد سعد حمدان(الرياض: دار طيبة ، ١٤٠٢هـ)، ج: ٢ ، ص: ٢٢٢

٦ انظر أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ٧/ ٢٠ ، ٣٩/١٥

٧ رواه مسـلم بـن الحجـاج النيسابوري ، صحيح مسلم ، محمد فؤاد عبد الباقي ، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٣٧٤هـ ١٩٥٤م) ، ج: ٤ ، ص: ٢٢٥٩ ، باب خروج الدجال ومكثه في الأرض.. . وابن مندة في كتاب الإيمان ٩٥٩/٢ ، ذكر وجوب الإيمان بنزول عيسى ..

هول النفخ

استدل القرطبي على هول النفخ بقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَسَاءَلُونَ﴾[1]

وذكر قول ابن عباس أنه ترك التفاخر بالأنساب وعدم السؤال عنها كما يتساءلون في الدنيا لهول ما أذهلهم. وذكر عنه أن هذا في النفخة الثانية في الآخرة بعد البعث ، وذكر قول ابن مسعود أن ذلك بعد النفخة الثانية[2] .

وذكر ابن عطية أنه لا أنساب نافعة عند النفخ والحساب ، ثم يأتي بعد ذلك موطن يتعارف فيه الناس[3] .

وذكر أبو حيان أنه يزول التساؤل عند النفخة الأولى ، أما النفخة الثانية فيقع التساؤل[4].

عدد النفخات في الصور

تكلم العلماء على هذه المسألة في كتبهم ، ومنهم الإمام القرطبي في تفسيره وأكثر الكلام عليها وأشار في عدة مواضع أنها اثنتان عن ابن عباس[5] ، وأن النفخة الأولى للفناء والثانية للإنشاء[6]، وقال:«وإنما هما نفختان يموت الخلق في الأول منهما ويحيون في الثانية» [7].

وفي تذكرته ذكر فصلاً وأورد أن النفخات للصعق ثلاث: نفخة الفزع ، ونفخة الصعق ، ونفخة البعث .

---

١ سورة المؤمنون الآية (١٠١)

٢ انظر أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي الجامع لأحكام القرآن ١٥١/١٢

٣ انظر عبد الحق بن عطية الأندلسي ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، تحقيق: المجلس العلمي بفاس ،

(المغرب: وزارة الأوقاف بالمغرب ١٣٩٥ ـ ١٩٧٥) ، ط٢ ، ج:١٠ ، ص:٤٠١ ، ٤٠٢

٤ انظر محمد بن يوسف ، الشهير بابن حيان الأندلسي الغرناطي ، وبهامشه النهر الماد من البحر المحيط ، له أيضاً

(بيروت: دار الفكر ١٤٠٣هـ ، ١٩٨٣)، ط٢ ، ج:٦ ، ص: ٤٢١

٥ انظر المصدر السابق ١٥١/١٢

٦ انظر المصدر السابق ٢٠/٧

٧ المصدر نفسه ٢٧٩/١٥

أو أنهمـــا نفختان فقط ، نفخة الفزع هي نفخة الصعق ، ونفخة البعث. ورجح ذلـــك وقال: «والسنة الثابتة على ما تقدم من حديث: أبي هريرة وحديث عبد الله بن عمـــر وغيرهما ، يدل على أنهما نفختان لا ثلاث ، وهو الصحيح إن شاء الله» [١].

وفي موضع آخر ذكر قول ابن العربي -يرحمه الله- أنه ثلاث نفخات ، وذكر قول ابـــن عطية أن فيه حديث منقطع لا يثبت أنه ثلاث نفخات وقال: «قلت: قد تقدم أن الصحيح في النفخ إنما هو مرتان لا ثلاث» [٢].

وذهب ابن جزي الكلبي[٣] في تفسيره سورة يس إلى أنهما نفختان:

الأولـــى: نفخة الصعق ، مستدلاً بقوله تعالى: ﴿مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾[٤].

والثانـــية: نفخـــة البعث ، مستدلاً بقوله تعالى: ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾[٥].

المدة بين النفختين

ذكـــر القرطبـــي في تفسيره [٦] عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ : «بين النفختين أربعـــون ســـنة..» [٧]، وتوســـع في تذكرته وذكر قول الحليمي شارحاً للحديث: « اتفقت الروايات على أن بين النفختين أربعين سنة» [٨].

وأكد ذلك في باب وضعه ، كم بين النفختين[٩] ، بحديث مسلم عن أبي هريرة ﷺ قـــال: قـــال رسول الله ﷺ: «ما بين النفختين أربعون قالوا يا أبا هريرة أربعون

---

١ أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي ، التذكرة ، ص: ١٥٩

٢ المصدر السابق ، ص ١٦٨

٣ انظـــر محمـــد بن أحمد بن جزيّ الكلبي ، التسهيل لعلوم التنزيل (بيروت: دار الكتاب العربي ، ١٣٩٣ ـ ١٩٧٣) ط٢ ، ج:٣ ، ص: ١٦٥

٤ سورة يس الآية (٤٨)

٥ سورة يس الآية (٥٣)

٦ انظر أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي الجامع لأحكام القرآن ج: ١٥ ، ص:٤٠

٧ رواه أبـــو عمـــرو عـــثمان بـــن سعيد الداني ، السنن الواردة في الفتن ، رضاء الله بن محمد المباركفوري (الرياض: دار العاصمة ١٤١٦هـــ) ، ط ١ ، ج: ٦ ، ص: ١٢٨٥

٨ التذكرة ، ص ١٥٩

٩ انظر أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي التذكرة ، ص ١٤٣

يومـــا قال أبيت قالوا أربعون شهرا قال أبيت قالوا أربعون سنة قال أبيت ، ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل ..» [1].

من الذي لا يصعق وأول من يفيق من الصعق

ممـــا دل على أن الله تعالى يهلك بالصعقة المخلوقات ويبقى فيها من كتب له الحياة قول الباري تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾[2].

ولكن من هؤلاء المستثنون من ذلك ولماذا استثنوا ؟

استقصى القرطبي في تفسيره وتذكرته كل ذلك ، وأورد الأقوال فيها:

قيل الملائكة

وقيل الأنبياء

وقيل الشهداء ؛ لأنه أخبر أنهم أحياء عنده . ورجحه القرطبي .

وقيل إنهم جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت .

أنهم حملة العرش

أنهم الحور العين

أنهم المؤمنون ، لأنه أخبر أنهم ﴿ من فزع يومئذ آمنون ﴾ [3].

وقـــال بعــض علمائنا: إنه لم يرد في تعيينهم خبر صحيح والكل محتمل[4].

ولكـــنه رد هذا القول وذكر أنه ثبت بحديث صحيح صححه ابن العربي وغيره أنهم الشهداء[5].

قلت: لم أجد هذا الحديث فيما رجعت إلية من كتب السنة والله أعلم.

---

١ رواه محمــد بــن إسماعيل البخاري ، الجامع الصحيح المختصر ، مصطفى البغا (بيروت: ، دار ابن كثير ١٤٠٧هـــ ١٩٨٧م) ، ج:٤ ، ص: ١٨١٣ ، كتاب التفسير ، باب ونفخ في الصور.. ، ومسلم ٤/٢٢٧٠ ، باب ما بين النفختين .

٢ سورة الزمر الآية (٦٨)

٣ سورة النمل الآية (٨٩)

٤ انظر أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي الجامع لأحكام القرآن ١٥/٢٧٩ ، ٢٨١ ، ١٣/٢٤١

٥ انظـــر أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي التذكرة ، ص ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١١٤٦ ، والمصدر السابق ١٣/ ٢٤١ ، ١٥/٤٠

* **أول من يفيق من الصعق:**

كما استدل القرطبي [١] ، على أن أول من يفيق هو موسى عليه السلام بدلالة حديث أبي هريرة أنه ﷺ قال: « لا تخيروني على موسى فإن الناس يصعقون فأكون أول من يفيق فإذا موسى باطش بجانب العرش فلا أدري أكان فيمن صعق فأفاق قبلي أم كان ممن استثنى الله» [٢].

جواب على شبهة في الصيحة

ملخص هذه الشبهة أوردها القرطبي وهي في صيحة الخروج من القبور ، فإذا كانت الصيحة للخروج ، فكيف يسمعونها وهم أموات ؟

أجاب القرطبي: قيل : «إن نفخة الإحياء تمتد وتطول ، فتكون أوائلها للأحياء وما بعدها للإزعاج من القبور ، فلا يسمعون ما يكون للأحياء ويسمعون ما يكون للإزعاج ، ويحتمل أن تتطاول تلك النفخة والناس يحيون منها أولاً فأولاً ، وكلما حيي واحد سمع ما يحيى به من بعده إلى أن يتكامل الجميع للخروج..»[٣].

الفصل الثاني

اليوم الآخر (يوم البعث)

من بدهيات اعتقاد المسلمين الإيمان بالبعث الجسدي الأخروي ، بعد أن يفنى الخلق. وأهمية هذا الركن الركين أن الدين لا يتم إلا بالإيمان به ، ولا إيمان لمن لم يسلم به تسليماً على الحقيقة التي لا تأويل فيها بوجه ؛ للدلالة الصريحة الصحيحة من الكتاب والسنة على حقيقته في الحشر والبعث والقيامة ، وما قول أهل القبلة فيه ، وكيف يبعث الناس؟

الحشر البدني (القيامة والبعث)

مما أسهب علماء الأندلس على الكلام فيه ، ركن الإيمان بالبعث والنشور بعد الموت ، ولا تكاد تجد كتاباً في العقيدة إلا فيه ذكر هذا اليوم الخطير وأحواله وأحوال أهله

---

١ انظر أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي الجامع لأحكام القرآن ٢٨١/١٥

٢ رواه البخاري٨٤٩/٢ ، كتاب الخصومات ، باب ما يذكر في الأشخاص . ومسلم ١٨٤٤/٤ ، باب فضائل موسى . وأحمد في المسند ٢/ ٢٦٤ .

٣ أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي ، التذكرة ، ص ١٧٤

، ودراســـة مســـائله وحل ما يتوهم من إشكالات في معاني نصوصه ، وسنتكلم عن أهم ما ذكره أهل الأندلس في ذلك:

* معنى الحشر:

بيـــن الإمـــام القرطبي في تفسيره عند تأويل قول الله تعالى : ﴿لأول الحشر﴾ [١] أن الحشـــر في اللغة معناه الجمع[٢] ، وفي موضع آخر في كتابه (التذكرة) عنون للباب «باب الحشر ومعناه الجمع».[٣]

* معنى البعث:

فـــي تأويلـــه لســـورة البقرة أوضح القرطبي أن معنى «البعث: الإرسال ، وقيل بل أصـــله إثارة الشئ من محله . يقال بعثت الناقة أثريتها أي حركتها» [٤]، وعرفه أبو العباس القرطبي: بأن البعث إحياء بعد إفاقة[٥] . ولا شك أن البعث الأخروي يشمل هذه المعاني .

* معنى القيامة:

قـــال القرطبـــي فـــي تفسيره: «سميت القيامة قيامة ؛ لأن الناس يقومون فيه لرب العالمين» ، وقال: «وقيل سمي يوم القيامة ؛ لأن الناس يقومون من قبورهم إليها[٦]. ولفظ القيامة مشتق من المصدر قام يقوم قياماً ، وهو كذلك سواء القيام من القبور أم القيام لرب العالمين .

هـــذا من حيث تعريف المعنى لغوياً ، ومدى قرب اشتقاقه اللغوي من حقيقته وكـــنهه ، فهذا حشر وجمع ، وذاك بعث أي إرسال وإثارة للشئ ، وتلك قيامة لقيام الناس لرب العالمين.

---

١) سورة الحشر الآية (٢)

٢) انظر أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي الجامع لأحكام القرآن ٢/١٨

٣) انظر أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي التذكرة ، ص ١٧١

٤) أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي الجامع لأحكام القرآن ٤٠٤/١

٥) انظـــر أحمد بن عمر القرطبي ، المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم ، محيي الدين مستو وغيره، (بيروت: دار ابن كثير ١٤١٧هـــ) ، ط ١ ، ج:٧ ، ص:١٥٢

٦) أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي الجامع لأحكام القرآن ٣٠٥/٥

أما من حيث المعنى الاصطلاحي:

*** معنى اليوم الآخر :**

عرفه أبو العباس القرطبي بأنه: التصديق بيوم القيامة ، وما اشتمل عليه من الإعادة بعد الموت والنشر والحشر والحساب والميزان والصراط والجنة والنار ، وأنهما دار ثوابه وجزائه للمحسنين والمسيئين ، إلى غير ذلك مما صح نصه وثبت نقله» (١).

حكم الإيمان به:

عنون الإمام الداني لحكم الإيمان باليوم الآخر عند اعتقاد المسلمين فيه : «فصل: في المعاد: ومن قولهم: إن الله سبحانه يعيد العباد ويحيي الأموات ويبعث من في القبور ويجئ الأموات ويبعث من في القبور ويجئ يوم القيامة لفصل القضاء».(٢)

وقال أبو محمد بن حزم: «اتفق جميع أهل القبلة على تنابذ فرقهم على القول بالبعث في القيامة وعلى تكفير من أنكر ذلك» (٣).

الأدلة على الإيمان بالبعث

استدل العلماء على الإيمان بالبعث والجزاء بأدلة كثيرة ، ومما ذكره ابن حزم في هذا الباب: قوله تعالى: ﴿ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ (٤). وقوله تعالى: ﴿وأن الله يبعث من في القبور﴾ (٥). وقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ ﴾ (٦) ، وبغيرها من الآيات الكريمات (٧).

وكذا استدل القرطبي بآيات كثيرة ، وقال: «والآيات في هذا المعنى كثيرة» (٨). ولو ذهبت استدل بجميع ما ذكره علماء الأندلس من الكتاب والسنة

---

١) أحمد بن عمر القرطبي ، المفهم ١٤٥/١

٢) أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني ، الرسالة الوافية ، ص١٠٧

٣) الفصل ١٣٤/٤

٤) سورة يس الآية (٧٩)

٥) سورة الحج الآية (٧)

٦) سورة البقرة الآية (٢٦٠)

٧) انظر الفصل ١٣٧/٤ ، ١٣٨

٨) انظر أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي التذكرة ، ص ١٦٠

للاستدلال على هذا الباب لملأت سفراً كاملاً ، ولكن يكفي من القلادة ما أحاط بالعنق .

أقسام أهل القبلة في الإيمان بالبعث

ذكرنا آنفاً قول ابن حزم في حكم الإيمان بالبعث ، ومن الجدير ذكره جزم ابن حزم أن جميع أهل القبلة على تنابذ فرقهم يقولون بالبعث والجزاء(١) .

ولكنه أورد بعض الأقوال الإلحادية التي تعقبها ورد عليها كقول الرعيني الذي كان ينكر بعث
الأجساد دون الأرواح. وذكر بعض أنواع الإلحاد في إنكار البعث الجسدي ورد عليها(٢).

منكرو البعث والرد عليهم

مما لا شك فيه أن أهل الإلحاد والتشكيك في الغيبيات لهم شبهاتهم وأدلتهم في إنكار البعث الأخروي بالروح والجسد ، وقد بين علماء الأندلس وردوا على المنحرفين فيه وأبانوا عوارهم وتناقضهم؟

*** الرد على منكري البعث بدليل حسي مشاهد ، على الأولي غير المشاهد:**

استدل بذلك القرطبي عند قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَاراً فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ﴾ (٣).

وعد هذا من الأدلة الواضحة على من أنكر البعث(٤) ، وأن معنى قوله : ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ﴾ «أي ونسي أنا أنشأناه من نطفة ميتة فركبنا فيه الحياة»(٥).

واستدل بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى

١) انظر الفصل ، ص ١٣٧

٢) انظر المصدر السابق ٤/١٣٨ ، ١٣٩

٣) سورة يس الآية (٧٨-٨٠)

٤) انظر أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي الجامع لأحكام القرآن ٨/١٣٩

٥) المصدر السابق ١٥/٥٨

وَمِنكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ [١]. وعد هذا من الاستدلال على البعث بالبداءة الأولى[٢] .

*** الرد على منكري البعث بدليل حسي مشاهد:**

استدل ابن حزم بقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ [٣]. وقال: « فأخبر ﷺ أن عنصر الإنسان إنما هو العظام التي انتقلت عن سلالة الطين إلى النطفة إلى العلقة إلى المضغة إلى العظام ، وأن اللحم كسوة العظام ، وهذا أمر نشاهده لأن اللحم يذهب بالمريض حتى لا يبقى منه ما لا قدر له ، ثم يكثر عليه لحم آخر إذا خصب الجسم ، وكذلك أخبرنا ﷺ أنه يبدل الجلود في الآخرة..» [٤].

*** الرد والمناقشة للقائلين بالتناسخ:**

أنكر العلماء على الفلاسفة والمتأثرين بهم من أهل الأهواء وأهل التناسخ قولهم بإنكار البعث الأخروي ، ومنهم **ابن حيان** –رحمه الله– فقد أنكر على الرازي أبي عبد الله مذهبه فيه ، عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَبَرَزُواْ لِلّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاء لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾ [٥]. قال: « وقال أبو عبد الله الرازي: تأويل الحكماء أن النفس إذا فارقت الجسد ، فكأنه زال الغطاء وبقيت متجردة بذاتها عارية عن كل ما سواها ، وذلك هو البروز لله تعالى». ثم قال معقباً: «وهذا الرجل كثيراً ما يورد كلام الفلاسفة وهم مباينون لأهل الشرائع في تفسير كلام الله تعالى المنزل بلغة العرب ، والعرب لا تفهم شيئاً من مفاهيم أهل الفلسفة فتفسيرهم كاللغز والأحاجي ، ويسميهم هذا الرجل حكماء وهم من أجهل الخلق الكفرة بالله تعالى وبأنبيائه» ، وقال منتقداً له أيضاً: « كثيراً ما ينقل هذا الرجل عن حكماء

---

١) سورة الحج الآية (٥)

٢) انظر أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي الجامع لأحكام القرآن ٦/١٢

٣) سورة المؤمنون الآية (١٥)

٤) الفصل ١٣٩/٤ ، ١٤٠

٥) سورة إبراهيم الآية (٢١)

الإسـلام فـي التفسير ، وينقل كلامهم تارةً منسوباً إليهم ، وتارة مستبداً به ، ويعني بحكمـاء الإسـلام الفلاسفة الذين خلقوا في هذه الملة ، وهم أحق بأن يسموا سفهاء جهـلاء من أن يسموا حكماء ، إذ هم أعداء الأنبياء المحرفون للشريعة الإسلامية ، وهم أضر على المسلمين من اليهود والنصارى» [١].

*** رد آخر على القائلين التناسخ :**

وقـد تطرق لهذا ابن حزم في إحدى رسائله رداً على من أنكر البعث الجسدي ، قال : «وأمـا مـا ذكرت عن عبد الملك بن مسلمة ، أنه قال: إذا خرج من هذا الجسم الظاهـر بالوفاة ركب في جسم باطن ، فلا أدري من عبد الملك بن مسلمة، إلا أني أدري أن هـذا قـول سـخيف وكذب على الله تعالى مجرد وضلالة فاحشة ، وهذا مذهـب أهـل التناسخ ، وهو كفر مجرد . فإن كان قائلة من أهل الدين المشاهير ، فهي زلة عالم وغفلة وهلة ، يعذر فيها بالجهالة لها ، وإن كان من غير هذه الصفة ، فهي تهمة في دينه ؛ لأن القرآن والسنن كلها ليس في شئ منها شئ من هذا »[٢].

كما تطرق –يرحمه الله– لمثل هذا عندما رد على الرعيني [٣].

أنواع الحشر

كـثراً مـا يشكل على الناس لفظ الحشر وعدده وأنواعه ، وهل الحشر إلى الشـام هـو في الدنيا قبل الساعة أم الحشر النهائي الذي لا حشر بعده عند خروج الناس من قبورهم في القيامة.

وقـد تكلم علماء الأندلس على هذا واجتهد كل منهم رأيه في المسألة معضداً قوله ومستنبطاً من الأدلة الشرعية .

فالقرطبي ابن فرح يرى أن الحشر عدة أنواع ، سأذكرها مختصرة وهي :

الأول: حشر أهل الكتاب من ديارهم إلى الشام في الدنيا ،

الثاني: الحشر قرب القيامة بالنار التي تسوق الناس من المشرق إلى المغرب.

الثالث: حشر يوم القيامة[٤] .

---

١) سورة المؤمنون الآية (١٥)

٢) البحر المحيط ، لأبي حيان ١٤٩/٥

٣) البحر المحيط ، لأبي حيان ١٤٩/٥

٤) أنظر أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي الجامع لأحكام القرآن ٢/١٨ ، ٣

الرابع: الحشر إلى الجنة وإلى النار . كما ذكره في تذكرته[١] .

وذكر عن ابن العربي ثلاثة أنواع من الحشر قريب من هذه .

ويوضـــح أبو العباس القرطبي ما أشكل من لفظ الحشر في حديث شرحه بأن الحشر نوعان: قال -يرحمه الله- : «وخرا على وجوههما ، أي: سقطا ميتين. وهذا الذي ذكره النبي ﷺ من حديث الراعيين إنما يكون في آخر الأمر عند انقراض الدنيا ، بدليل ما قال البخاري ، في هذا الحديث «آخر من يحشر راعيان من مزينة» [٢] ، قـيل: معـناه آخــر من يموت بها فيحشر ؛ لأن الحشر بعد الموت ، ويحتمل أن يــتأخر حشــرهما لتأخير موتهما. قلت: ويحتمل أن يكون معناه آخر من يحشر إلى المدينة ، أي يساق إليها ، كما في لفظ مسلم» [٣].

كيف يبعث الناس (ماء كمني الرجال)

وهــذا ما اشتهر عند العامة وبعض طلبة العلم ، من أن الله ينزل تعالى ينزل مطراً كمني الرجال ، يبعث من الناس ، فهل لذلك حقيقة؟

عند الإمام القرطبي ابن فرح [٤] في تذكرته لما ذكر كيفية الحشر أورد حديثاً طويــلاً عن أبي هريرة ﷺ وفيه: « .. ثم ينزل عليكم ماء من تحت العرش يقال له مــاء الحــياة ، فتمطر السماء عليكم أربعين سنة ، حتى يكون الماء من فوقكم اثني عشر ذراعاً ، ثم يأمر الله الأجساد فتنبت كنبات الطراثيث» [٥].قلت: والطراثيث ، نبات ينبسط على الأرض كالفطر [٦].

ولم يذكر القرطبي صحة هذا الحديث ، فالله أعلم بذلك .

ولكــن الإمــام ابن حزم -يرحمه الله- وعلى سعة باعه في علم الحديث ، لم يجــزم بصــحة شئ في ذلك ، وقال مجيباً على سؤال في إحدى رسائله : «وأما ما

---

١) انظر أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي التذكرة ، ص ١٧٣

٢) رواه البخاري ٢/٦٦٣ ، كتاب فضائل المدينة ، باب من رغب عن المدينة . ومسلم ٢/١٠١٠ ، باب في المدينة حين يتركها أهلها . وأحمد في المسند ٢/٢٣٤ .

٣) المفهم ٣/ ٥٠٢

٤ أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي التذكرة ، ص ١٥٦ ، ١٥٧

٥ رواه ابــن راهويه في مسنده ١/٨٨ . والبيهقي في شعب الإيمان ١/٣١٢ . والأصبهاني في كتاب العظمة ٣/ ٨٢٨ ، باب صفة إسرافيل عليه السلام وما وكل به .

٦ انظر ابن منظور ، لسان العرب ٢ / ١٦٥

سـألت عنه من نزول كمني الرجال ، فيبعث الله من في القبور ، فأذكر هذا الحديث ولا يحضـرني سنده ؛ فإن صح قلنا به وإلا فلا ، وليس هذا مما أمرنا به ولا نهينا عنه ، والله على ما يشاء قدير . ولا يجوز أن يقال من هذا شئ بغير يقين علم» [1].

أصناف المحشورين وكيف يحشرون

تعددت أنواع الحشر في الآخرة ، وكذا أنواع المحشورين كما دلت على ذلك أدلة السمع ومنها :

* حشر الإنس:

وهو الأصل في الحشر الأخروي بعد البعث ، وكل آيات الحشر تتضمن معنى حشر الإنـس في الآخرة كقوله تعالى: ﴿ وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً﴾[2] ، وذهب ابن عطـية[3] إلـى أنـه الجمع ليوم القيامة ، واستدل بحديث « يجمع الله يوم القيامة الأولين والآخرين في صعيد واحد فيسمعهم الداعي وينفذهم البصر .. » [4] ، حفاة عراة غرلاً .

وبمـثل هذا التفسير ذهب الكلبي ابن جزي[5] ، وأنه ساعة الحشر يشاهدون أهوال تبديل السموات والأرض .

وكلام العلماء في ذلك أشهر من أن يذكر ، وأكبر من أن يحصر .

* حشر الجن والشياطين:

اسـتدل ابـن عطـية [6] علـى ذلك بقوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِـرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيّاً﴾[7] ، وذهب إلى أنهم الكافرين وأعوانهم الذين أغووهم من الشياطين .

---

١ محمد بن علي بن حزم رسائل ابن حزم ٣/ ٢٢٣

٢ سورة الكهف الآية(٤٧)

٣ انظر المحرر الوجيز ٩ / ٣٢٣ ، ٣٢٤

٤ رواه محمد بن إسماعيل البخاري ٤/ ١٧٤٥. كتاب التفسير ، باب ذرية من حملنا مع نوح . ومسلم١/١٨٤، باب أدنى أهل الجنة منزلة . وأحمد ٢/٤٣٥ .

٥ انظر التسهيل لعلوم التنزيل ، ص ٣٤٨

٦ انظر المحرر الوجيز ٩ / ٥٠٧

٧ سورة مريم الآية(٦٨)

وفـــي تفســـير ابـــن جزي الكلبي «لنحشرنهم والشياطين ، أي قرناءهم من الشياطين الذين أضلوهم» [1].

*** حشر البهائم:**

ذكـــر القرطبـــي أنه روي عن ابن عباس أن معنى حشر البهائم هو موتها ، وذكر رواية عنه وعن أبي ذر وأبي هريرة وعمرو بن العاص وغيرهم ، أن البهائم تحشر وتبعـــث ، وقـــال: وهو الصحيح لقوله تعالى : ﴿وإذا الوحوش حشرت﴾ [2]، وقوله تعـــالى: ﴿ثم إلى ربهم يحشرون﴾ [3]، وذكر قول طائفة أن الضمير في الآية الآنفة يعود على المشركين[4] ، ولكنه رجح أن الحشر للبهائم حشر حقيقي تبعث ثم تحاسب ، ثم تكون ترابا .

وقـــال الإمـــام ابن جزي الكلبي: حشرت أي جمعت. وذكر فيها أقوالاً ثلاثة حاصلها:

أنها تبعث يوم القيامة للقصاص ثم تكون تراباً

أنها تحشر لموتها دفعة واحدة عند هول القيامة ، عن ابن عباس .

أنها تبعث في أول القيامة ثم تفر .. [5]

*** معنى الحشر ركباناً ، هل هو في الدنيا أم الآخرة :**

اســـتعرض القرطبي بعض الآثار الواردة في هذا المعنى ، وقال ما فحواه: إن ثبت مـــرفوعاً فالمـــراد أنهـــم ثلاثة أصناف ، الركبان وهم المتقون السابقون ، والصنف الثاني وهم الذين يعذبهم الله بذنوبهم في النار ثم يخرجهم إلى الجنة وهم المشاة على أقدامهم. والصنف الثالث: وهم الكفار الذين يحشرون على وجوههم [6].

---

١ التسهيل لعلوم التنزيل ، ص ٣٩٨

٢ سورة التكوير الآية(٥)

٣ سورة الأنعام الآية(٣٨)

٤ انظر أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي التذكرة ، ص ٢٣٨

٥ انظر التسهيل ، ص ٧٧٠

٦ انظر المصدر السابق ، ص ١٧٢

مكان الحشر

ذهب ابن رشد (الجد) في بيانه إلى أن الأرض التي يحشر فيها الناس هي بلاد الشام ، «قال محمد بن رشد: المحشر هي الشام التي يحشر الناس إليها بعد البعث للحساب» [1].

وإلى هذا ذهب القرطبي ابن فرح في تفسيره[2] ، واستدل بحديث الترمذي « عن معاوية بن حيدة عن النبي ﷺ قال وأشار بيده إلى الشام فقال من ها هنا إلى ها هنا تحشرون ركبانا ومشاة وتجرون على وجوهكم يوم القيامة على أفواهكم الفدام توفون سبعين أمة أنتم خيرهم وأكرمهم على الله وإن أول ما يعرب عن أحدكم فخذه وفي رواية أخرى فخذه وكفه» [3]. قلت: والفدام هو ما يوضع على فم الإناء وما يشد به المجوسي فمه[4].

ولكنه في التذكرة أورد أقوالاً عدة في الأرض التي يبعث الناس ويحشرون إليها ، وهي الساهرة . ومما أورده من الأقوال في حقيقتها:

قول ابن عباس: الساهرة أرض من فضة بيضاء لم يعص الله عليها،

قول بعضهم: الساهرة هي الأرض السابعة.

قول الثوري: هي أرض الشام. وقيل غير هذا .

وأرد في تفسيره[5] حديث : «يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقي ، ليس فيها علم لأحد» [6] ، وأورد أقوال بعض أهل العلم أنها خبزة ، أو أنها أرض بيضاء ، أو أنها أرض من فضة بيضاء.

وفسر النقي بأنه الحواري ، وهو الدرمك من الدقيق ، والعفر بياض ليس بخالص يضرب إلى الحمرة قليلاً [7].

---

١ البيان والتحصيل ١٧/ ٣٦٠ ، ٣٦١

٢ أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ٢٧/١٧

٣ رواه الإمام أحمد في المسند ٤٤٦/٤ ، ٣/٥ . والحاكم في المستدرك٤٧٨/٢ . كتاب التفسير ، باب تفسير سورة الزمر . وابن أبي شيبة في المسند ٢٧٥/٧ ، كتاب الأوائل .

٤ انظر لسان العرب ١٢ / ٥٤٠ ، الفائق في غريب الحديث ٣ / ٩٢

٥ انظر أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي الجامع لأحكام القرآن ٣٨٤/٩

٦ رواه مسلم ٢١٥٠/٤ ، كتاب صفة القيامة ، باب في البعث والنشور وصفة الأرض يوم القيامة . وأبو يعلى في مسنده ٥٣٤/١٣ . والبيهقي في شعب الإيمان ٣١٧/٤ .

٧ انظر أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي التذكرة ، ص ١٨٠

وإلى مثل هذا ذهب أبو العباس القرطبي في شرحه [1].

الفصل الثالث

موقف الحشر بأرض القيامة

وهذا الموقف هو أول وأوسع الأحداث الأخروية بعد البعث من القبور إلى المصير النهائي في الجنة أو النار ، وفي عرصات القيامة أحداث جسام وأهوال عظام ، ففي أي مكان هذا الموقف؟ وأين الناس إذا بدلت الأرض؟ وما مقدار الموقف؟ وكيف أحوال الناس به ، وهل بالموقف نعيم وعذاب ؟

معنى تبديل الأرض والسماء وصفة أرض المحشر

ذهب أبو العباس القرطبي إلى أن الأرض تبدل تبديل ذات بذات ، واستدل بقوله تعالى: ﴿يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات﴾ [2]،قال : «تبديل ذات بذات ، فيذهب بهذه الأرض ويؤتى بأرضٍ أخرى وهو قول جمهور العلماء» [3] ، وذكر أقوالاً لأهل العلم في غير ما ذهب إليه أنه تبديل صورتها وزوال دنسها .

واستدل القرطبي ابن فرح على صفة أرض المحشر بحديث مسلم: «يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقي ليس فيها علم لأحد..» [4] فهي:

بيضاء عفراء: أي تضرب إلى الحمرة.

كقرصة النقي: القرصة الخبزة ، والنقي : هو الحواري المصفى من نخالته .

ليس فيها علم لأحد: ليس فيها علامة وأثر لأحد[5] .

مكان الناس يوم تبدل الأرض

استدل القرطبي [6] بحديث مسلم أنهم على الصراط ، فعن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال: كنت قائماً عند رسول الله ﷺ فجاء حبر من أحبار اليهود فقال : السلام

---

١ انظر أحمد بن عمر القرطبي المفهم ٧ / ١٥٢ ، ١٥٣

٢ سورة إبراهيم الآية (٤٨)

٣ المفهم ٧/٣٥١

٤ رواه محمد بن إسماعيل البخاري ٥/٢٣٩٠ ، كتاب صفة القيامة ، باب يقبض الله الأرض.ومسلم ٤/٢١٥٠، كتاب صفة القيامة ، باب في البعث والنشور .

٥ انظر أحمد بن عمر القرطبي ، المفهم ٧/٣٥٠ ، ٣٥١

٦ انظر أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي التذكرة ، ص ١٦٤

عليك يا محمد ، وذكر الحديث وفيه: «أين يكون الناس يوم تبدل الأرض والسماوات فقال رسول الله ﷺ هم في الظلمة دون الجسر »[١]

وبحديث عائشة قالت: يا رسول الله: «والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه﴾[٢] قالت قلت: فأين الناس يومئذ يا رسول الله؟ قال على جسر جهنم»[٣]

وقال- بعد أن ساق عدة أحاديث-: «فصل: هذه الأحاديث نص في أن الأرض والسموات تبدل

ويخلق الله أرضاً أخرى يكون عليها الناس بعد كونهم على الجسر ، وهو الصراط»[٤]

مقدار موقف القيامة

من بدهيات المعتقدات الإسلامية أن الموقف في العرصات يوم القيامة موقف رهيب عصيب ، وأنه طويل جداً -بلا ريب- ولكن هذا الطول يختلف باختلاف الناس ، كل بحسب إيمانه كالعرق الذي يغمرهم.. ، ومما يجدر التنبيه عليه أن لهذا اليوم مدة لا يتجاوزها ، فكم هي؟

ذهب ابن حزم في الفصل أنه «يوم مقداره خمسون ألف سنة»[٥]

وذكر القرطبي في تفسيره[٦] عن ابن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ : «يوم يقوم الناس لرب العالمين في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة»[٧] . وفي التذكرة ذكر

---

١ رواه مسلم ٢٥٢/١ ، باب بيان صفة منى الرجل والمرأة.. . وابن خزيمة في صحيحه ١١٦/١ ، باب صفة ماء الرجل .. . وابن حبان في صحيحيه ٤٤١/١٦ ، ذكر الأخبار عن وصف أول ما يأكل..

٢ سورة الزمر الآية (٦٧)

٣ رواه الحاكم في المستدرك ٤٧٣/٢ ، باب تفسير سورة الزمر . والترمذي ٣٧٢/٥ ، كتاب التفسير ، سورة الزمر .

٤ انظر أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي التذكرة ، ص ١٦٥

٥ الفصل ١٣٩/٤

٦ انظر أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي الجامع لأحكام القرآن ٢٥٥/١٩

٧ رواه الإمام أحمد في المسند ١١٢/٢ .

حديث: «كيف بكم إذا جمعكم الله ﷻ كما يجمع النبل في الكنانة خمسين ألف سنة لا ينظر إليكم»[١] . قال الوائلي: غريب جيد الإسناد [٢] .

ولكـــنه ذكر في موضع آخر غير ذلك . قال: وفي الحديث: «إذا حشر الناس يـــوم القـــيامة قـــاموا أربعين سنة على رؤسهم الشمس شاخصة أبصارهم ينتظرون الفصـــل..»[٣] فالله أعلم بمراد القرطبي هل صح عنده حديث يحدده بأربعين سنة ، وأن مقـــدار شـــدته على الناس (خمسون ألف سنة) ؟ أم هو تقدير حقيقي ؛ لأنه في الموقف تزول أوقات النهار والليل لانعدام المظاهر الدنيوية .

أحوال في الموقف

* حفاة عراة بهما:

بـــوب أبـــو العـــباس القرطبي في شرحه لمسلم ، (باب الحشر وكيفيته)[٤]، واستدل بحديـــث عائشة ، قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « يحشر الناس يوم القيامة حفاة عـــراة غـــرلاً قلـــت يا رسول الله الرجال والنساء ينظر بعضهم إلى بعض. قال: يا عائشة الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض»[٥]

واســـتدل القرطبي المفسر [٦] عن ابن عباس قال: سمعت رسول الله ﷺ وهو يخطـــب يقول إنكم ملاقو الله حفاة عراة غرلاً »[٧] وبغيره من الأحاديث[٨] ، كقوله ﷺ «يحشر العباد أو قال الناس -شك همام- وأومأ بيده إلى الشام عراة غرلاً بهماً ، قلنا ما بهم؟ قال: ليس معهم شئ ..» [٩]

---

١ رواه الحاكم في المستدرك ٦١٦/٤ ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ١٣٥/٧ ، سورة المطففين .

٢ انظر أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي التذكرة ، ص ٢٠٨ ، وكذلك ، ص ١٩١

٣ أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي الجامع لأحكام القرآن ١٥٨/١٩

٤ انظر أحمد بن عمر القرطبي ، المفهم ١٥٢/٧

٥ رواه محمد بن إسماعيل البخاري ٢٣٩١/٥ ، كتاب الرقاق ، باب كيف الحشر .

٦ انظر أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي الجامع لأحكام القرآن ٩٦/٣

٧ رواه محمد بن إسماعيل البخاري ١٢٢٢/٣ ، كتاب الأنبياء ، باب قول الله تعالى﴿واتخذه الله إبراهيم..﴾ . وابـــن حـــبان في صحيحه ٣١١/١٦ . والترمذي ٦١٥/٤ ، كتاب صفة القيامة..، باب ما جاء في شأن الحشر. وأحمد في المسند ٢٢٣/١ . والطيالسي ٣٤٣/١ .

٨ انظر أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي الجامع لأحكام القرآن ٢٧٣/٤

٩ رواه الحارث في مسنده (زوائد الهيثمي) ١٨٩/١ .

*** العرش وظله :**

من الثابت أنه في وقت الموقف العصيب يتنعم أناس ولا يصيبهم من الشدة ما يصيب غيرهم... والسؤال هاهنا ما مصيرهم وأين يكونون ؟

استدل العلماء على ذلك -ومنهم ابن عبد البر[١]- بحديث أبي هريرة: « سبعة في ظل الله يوم لا ظل إلا ظله .. »[٢] ، وذهب إلى تأويل الظل ، وقال: « من كان في ظل الله يوم القيامة لم ينله هول الموقف ، والظل في هذا الحديث يراد به الرحمة ، والله أعلم» [٣]

واستدل أبو العباس القرطبي[٤] على قرب العرش من الموقف بحديث طويل منه: « فأنطلق فآتي تحت العرش فأقع ساجداً لربي ..» [٥]

وفي موضع آخر ذكر حديث: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله....» ' وقال في شرحه: « قوله: (سبعة يظلهم الله في ظله) أي في ظل عرشه كما جاء في الحديث الآخر...» [٦]

كما استدل القرطبي ابن فرح بأحاديث طويلة فيها ذكر العرش وقربه من الموقف[٧]، والله أعلم بصحتها واستدل بالحديث الآنف : «سبعة يظلهم الله في ظله.. » وقال: «معنى (في ظله) أي في ظل عرشه وقد جاء هكذا تفسيراً في الحديث» [٨].

---

١ انظر التمهيد ٢٧٩/٢ ، ٢٨٠ ، ٢٨٢

٢ رواه محمد بن إسماعيل البخاري ١ / ٢٣٤ ، كتاب الجماعة والإمامة ، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة . ومسلم ٧١٥/٢ ، باب فضل إخفاء الصدقة .

٣ التمهيد ٢٨٣/٢

٤ انظر أحمد بن عمر القرطبي المفهم ٣٥٠/٧ ، ٣٥١

٥ رواه محمد بن إسماعيل البخاري ١٧٤٦/٤ ، كتاب التفسير ، باب ذرية من حملنا مع نوح . ومسلم١٨٥/١، باب أدنى أهل الجن منزلة .. . وأحمد في المسند ٤٣٥/٢ .

٦ انظر أحمد بن عمر القرطبي المفهم ٣٥٠/٧ ، ٣٥١

٧ انظر أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي التذكرة ، ص ١٨٠

٨ المصدر السابق ، ص ٢١٢

* **أول ما يتكلم من الإنسان في المحشر ، وأول من يكسى:**

ذكر القرطبيان أبو العباس[1] وابن فرح[2] دليلاً يبين أن أول من يكسى هو إبراهيم ، والحديث «عن ابن عباس قال: قام فينا رسول الله ﷺ خطيباً بموعظة فقال: يا أيها الناس إنكم تحشرون إلى الله حفاة عراة غرلاً كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين . ألا وإن أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم عليه السلام ..» [3] ، وتفرد المفسر ابن فرح بذكر بعض الأحاديث في البيهقي وحلية الأولياء وغيرهما[4].

كما استدل[5] على أن أول ما يتكلم من الإنسان فخذه ، بحديث: «وإن أول ما يتكلم من الإنسان فخذه وكفه..» [6]

* **موج الإنس والجن في الموقف:**

استدل القرطبي المفسر[7] على الحيرة والتردد في الموقف بين أهله بآية: ﴿وتركنا بعضهم يومئذٍ يموج في بعض﴾[8] .

وذكر فيها أقوالاً : أنهم الجن والإنس يوم القيامة يموج بعضهم في بعض ، أو أنهم يأجوج ومأجوج وقت كمال السد. وقيل بل يوم انفتاح السد يموجون في الدنيا مختلطين لكثرتهم. وقال: «قلت: فهذه ثلاثة أقوال أظهرها أوسطها ، وأبعدها آخرها . وحسن الأول ؛ لأنه تقدم ذكر القيامة في تأويل قوله: ﴿فإذا جاء وعد ربي﴾ والله أعلم»[9]

---

١ انظر أحمد بن عمر القرطبي ، المفهم ١٥٢/٧

٢ انظر أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي الجامع لأحكام القرآن ٣٧٧/٦

٣ رواه محمد بن إسماعيل البخاري ١٢٢٢/٣ ، كتاب الأنبياء ، باب واتخذ الله إبراهيم.. ومسلم ٢١٩٤/٤ ، باب فناء الدنيا وبيان الحشر . وأحمد في المسند ٢٥٣/١ .

٤ انظر أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي التذكرة ، ص ١٨٠

٥ انظر المصدر السابق ، ص ١٧٩

٦ سبق تخريجه بالفصل الأول .

٧ انظر أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي الجامع لأحكام القرآن ٦٥/١١

٨ سورة الكهف الآية (٩٩)

٩ أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي الجامع لأحكام القرآن ٦٥/١١

أهوال الموقف

مما رسخ في نفوس المؤمنين أن موقف القيامة العصيب الرهيب به أهوال وشدائد لا يعلم مقدارها إلا الله تعالى كما دلت على ذلك الأدلة الشرعية . فما مظاهر شدة هذا اليوم؟ وهل يعاقب بها أحد ؟

*** الشمس والعرق:**

في شرحه لمسلم بوب أبو العباس القرطبي كباب الإمام مسلم[1] : (باب دنو الشمس مـــن الخلائق في المحشر وكونهم في العرق على قدر أعمالهم) وأورد حديث المقداد بـــن الأسود ﷺ قال: «تدنى الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل قال سليم بن عامر :فوالله ما أدرى مع يعنى بالميل أمسافة الأرض أم الميل الذي تكتحل به العين ؟قال: فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق فمنهم من يكون إلى كعبـــيه ، ومـــنهم مـــن يكون إلى ركبتيه ، ومنهم من يكون إلى حقويه ، ومنهم من يلجمـــه العرق إلجاما ، قال: وأشار رسول الله ﷺبيده إلى فيه»[2] ، وذهب إلى أن معنى تدنو: تقرب ورجح أن الميل هو مسافة الأرض لا مرود المكحل ، والحقوان: الخصران .

وعلـــل دنـــو الشمس لشدة الضغط ، وحر الشمس التي على الرؤوس بحيث تغلي منها الهام[3] .

وذكـــره ابن عبد البر في تمهيده[4] ، وعقب أن ذلك من نعيم من هم في ظل الله .

*** شرر ولهب من النار على أهل الموقف:**

ممن جزم بوقوع ذلك الإمامان أبو العباس القرطبي وابن فرح القرطبي . وقد استدل أبـــو العـــباس علـــى ذلـــك بحديث: «تخرج عنق من النار فتقول: وكلت بالجبارين

---

١ انظر أحمد بن عمر القرطبي ، المفهم ١٥٥/٧

٢ رواه مسلم ٢١٩٦/٤ ، باب صفة القيامة.. . والطبراني في المعجم الكبير ٢٥٥/٢٠ .

٣ انظر أحمد بن عمر القرطبي ، المفهم ١٥٥/٧ ، ١٥٦

٤ انظر التمهيد ٢٨٣/٢

والمتكبريـــن» [١]، وقال: «فكأنها تعلو وتطغى حتى كأنها تجاوز الحد، وفي بعض الحديث:«.أنها تكاد أن تلتقم أهل المحشر، فيكسر الله سورتها وحدتها وبردها..»[٢].

وبهـــذا القـــول قال المفسر ابن فرح : «فإذا كان يوم القيامة وجئ بجهنم في الموقـــف ، رمت بشررها على أهل الموقف غضباً لغضب الله. والشرر هو أسود؛ لأنه من نار سوداء ، فإذا رمت بشررها فإنها ترمي الأعداء به» [٣].

عقوبات في الموقف

دلـــت الأدلـــة الثابتة في الكتاب والسنة على صعوبة الموقف وهوله ، وعلى وقوع بعض العقوبات العاجلة لبعض أهل الموقف جزاء ما اقترفته أيديهم في الحياة الدنيا ، فتكون هذه عقوبة معجلة في الموقف ، ومن تلك العقوبات:

*** سؤال وتوبيخ الكافرين:**

اســـتدل ابـــن عطية[٤] على ذلك بقوله تعالى: ﴿ وقفوهم إنهم مسؤولون ﴾[٥] ، وأن الكافرين يسألون عن عدم تناصرهم توبيخاً لهم . وفسرها ابن جزي الكلبي[٦] بمعان ثلاثة:

أنهم يسألون عن أعمالهم

أنهم يسألون عن لا إلة إلا الله

أنهم يسألون عن عدم تناصرهم ، توبيخاً . ورجح الأول

*** قروح وجروح في العرصات:**

وذلـــك واقـــع لبعضهم لا محالة ، واستدل عليه أبو العباس القرطبي [٧] بحديث من سأل الناس تكثراً ، وهو قوله ﷺ: «وليس في وجهه مزعة لحم» [٨]، أي قطعة لحم

---

١ رواه أحمد في المسند ٣٣٦/٢ . والترمذي في سننه ٧٠١/٤، كتاب صفة جهنم ، باب ما جاء في صفة النار. وعبد بن حميد في مسنده ٢٨٢/١ . وأبو يعلى في مسنده ٣٨٠/٢ .

٢ أحمد بن عمر القرطبي ، المفهم ٧ /١٩٥

٣ أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي الجامع لأحكام القرآن ١٦٤/١٩

٤ انظر المحرر الوجيز ٢١ / ٣٤٤

٥ سورة الصافات الآية (٢٤)

٦ انظر التسهيل لعلوم التنزيل ٣ / ١٦٩ ، ١٧٠

٧ انظر أحمد بن عمر القرطبي ، المفهم ٨٤/٣ ، ٨٥

٨ رواه محمد بن إسماعيل البخاري ٥٣٦/٢ ، كتاب الصدقة ، باب من سأل الناس تكثراً . ومسلم ٧٢٠/٢، باب كراهة المسألة للناس . وأحمد في المسند ١٥/٢ ، ٨٨/٢ .

، ومنه : مزعت المرأة الصوف إذا قطعته لتهيئته للغزل ، وتمزع أنفه: تشقق. وهذا كمـــا قيل في الحديث الآخر : « المسائل كدوح أو خدوش يخدش بها الرجل وجهه يـــوم القـــيامة» [1] ، و محمول على كل من سأل سؤالاً لا يجوز له ، وخص الوجه بهذا النوع ؛ لأن الجناية به وقعت » [2].

* لواء الغدر:

أورده أبـــو العـــباس القرطبي تحت باب النهي عن الغدر وأورد حديث مسلم « لكل غادر لواء يوم القيامة يرفع له »[3]

ويبيـــن علة ذلك وفائدته : « هذا منه ﷺ خطاب للعرب بنحو ما كانت تفعل. وذلك أنهم يرفعون للوفاء راية بيضاء ، وللغدر راية سوداء ؛ ليشهروا به الوفي فيعظموه ويمدحـــوه ، والغـــادر فيذموه ويلوموه بغدره.. » وقال: «فمقتضى هذا الحديث أن الغادر يفعل به مثل ذلك ليشهر بالخيانة والغدر فيذمه أهل الموقف» [4]

وأنـــه يرفع له لواء الغدر بقدر غدرته فإن كانت صغيرة رفع له لواء صغير ،وإن كانت كبيرة رفع له لواء كبير «وعند استه» أي عند مقعده يلازمه لا يفارقه ليمر به الناس فيروه ويعرفوه[5] .

وبحديـــث ابـــن عمـــر استدل القرطبي[6] في تذكرته ، قال: «إذا جمع الله الأوليـــن والآخرين يوم القيامة يرفع لكل غادر لواء فيقال هذه غدرة فلان بن فلان» [7]، وبغيره من الأحاديث، وقال: « قال علماؤنا رحمهم الله: كل ذلك على الحقيقة».

---

١ رواه الدارمي في سننه ٤٧٢/١ ،كتاب الصدقة، باب من تحل له الصدقة. والدار قطني في سننه ١٢٢/٢

٢ المفهم ٨٥/٣

٣ رواه البخاري ١١٦٤/٣ ، كتاب الجزية ، باب إثم الغادر . مسلم ١٣٥٩/٣ ، باب تحريم الغدر .

٤ المفهم ٥٢٠/٣

٥ انظر المصدر السابق ٥٢١/٣

٦ انظر أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي ، التذكرة ، ص ٢٥٧

٧ رواه محمد بن إسماعيل البخاري ٢٦٤/١ ، كتاب الأدب ، باب يدعى الناس بآبائهم . . مسلم ١٣٥٩/٣ ، باب تحريم الغدر .

*** عقوبة مانع الزكاة والغال:**

بهائم تطأ بالأظلاف وتنطح بالقرون ، لمن منع زكاته ، وشجاع أقرع ، وصفائح من نار. استدل عليها الإمام القرطبي[1] في التذكرة بأحاديث منها حديث: «ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فأحمي عليها في نار جهنم فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره، كلما بردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد» [2]

وبحديث: « من أتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعا أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزمتيه ثم يقول أنا مالك أنا كنزك »[3].

وبحديث الغلول: « قام فينا رسول الله ﷺ ذات يوم فذكر الغلول فعظمه وعظم أمره . ثم قال لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء يقول يا رسول الله أغثني فأقول لا أملك لك شيئا قدْ أبلغتك ، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته فرس له حمحمة فيقول يا رسول الله أغثني ، فأقول لا أملك لك شيئا.. » [4]

النعيم في الموقف

تتعدد النعم في الموقف على عباد الله المؤمنين كما دلت على ذلك الأدلة الشرعية ، وقد تقدم ذكر الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ، ومن ذلك أيضاً:

*** منابر من نور :**

وهذا للمتحابين في الله ، وقد استدل على ذلك الإمام ابن عبد البر[5] بحديث معاذ بن جبل ﷺ: « سمعت رسول الله ﷺ يقول: المتحابون في الله على منابر من نور في ظل العرش يوم لا ظل إلا ظله..»[6]

---

١ انظر أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي التذكرة ، ص ٢٥٦ ، ٢٥٧

٢ رواه مسلم ٦٨٠/٢ ، كتاب الصدقة ، باب إثم مانع الزكاة . وأحمد في المسند ٢٧٦/٢ .

٣ رواه محمد بن إسماعيل البخاري ٥٠٨/٢ ، كتاب الزكاة ، باب إثم مانع الزكاة . وأحمد في مسنده ٩٨/٢ .

٤ رواه محمد بن إسماعيل البخاري ١١١٨/٣ ، كتاب كتابة الإمام الناس ، باب الغلول . ومسلم ١٤٦١/٣ ، باب غلظ تحريم الغلول . وأحمد في المسند ٤٢٦/٢

٥ انظر التمهيد ١٢ / ١٣١ ، وانظر للمزيد : التذكرة ، ص ١٩٤

٦ رواه أحمد في المسند ٢٣٦/٥ . وابن أبي شيبة في المصنف ٤٥/٧ .

الفصل الرابع
الشفاعة

الشـــفاعة في دين الإسلام من المعتقدات الأصيلة في ركن الإيمان باليوم الآخر عند أهــل الســـنة والجماعة ، كما دل على ذلك كتاب الله وسنة رسوله ﷺ . فما موقف علماء الأندلس من هذه العقيدة ، وكيف وقفوا لمن أنكرها ؟

حكم الإيمان بها

حكـــى أبو عمرو الداني معتقد أهل السنة والجماعة في الإيمان بالشفاعة في رسالته الشهيرة ، وقال: «فصل: في الشفاعة ، ومن قولهم: إن الله تعالى يشفع نبيه ﷺ وأهل بيته وصحابته ومن يشاء من صالح عباده..» إلى قوله: «على ما أتت به الصحاح»[1]

ثم أورد أدلة كثيرة منها: ﴿ عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً﴾ [2] وقوله: ﴿ ولا يشفعون إلا لمن ارتضى ﴾ [3] ، وذكر أنه جاء عن النبي ﷺ عن غير واحد من الصحابة

أن المقام المحمود : الشفاعة. وأورد حديث: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي» [4] ، وحديث: «أسعد الناس بشفاعتي..» [5] ، وغيرها من الآيات والأحاديث [6] .

كما ذكرها القرطبي في تذكرته[7] ، وأورد بحراً من الأدلة توجب الإيمان بها ، ومـــنها حديث مسلم عن أبي هريرة ﷺ في الشفاعة العظمى: «أنا سيد الناس يوم القيامة..» إلى قوله: « ارفع رأسك واشفع تشفع ..» [8]

---

١ أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني ، الرسالة الوافية ، ص ١١٢

٢ سورة الإسراء الآية (٧٩)

٣ سورة الأنبياء الآية (٢٨)

٤ رواه أحمـــد في المسند ٢٠٣/٣ . والترمذي ٢٦٥/٤ ، باب ما جاء في الشفاعة . والطيالسي ٢٣٣/١ . والطبراني في المعجم الكبير ٢٨٥/١ .

٥ رواه محمد بن إسماعيل البخاري٤٩/١، كتاب العلم، باب الحرص على الحديث. وأحمد في المسند٣٧٣/٢.

٦ انظر أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني ، الرسالة الوافية ، ص ١١٣ ، ١١٤

٧ انظر التذكرة ، ص ٢١٣ وما بعدها

٨ رواه محمد بن إسماعيل البخاري ١٢١٥/٣ ، كتاب الأنبياء ، باب قول الله: ولقد أرسلنا نوحاً . والبزار في مسنده ١٥٠/١ .

وذكرها في تفسيره[١] في أماكن كثيرة ، وذكر وجوب الإيمان بها .

كما ذكرها ابن عبد البر في تمهيده[٢] ، واستدل على وجوب الإيمان بها بأحاديث وآيات كثيرة ، منها حديث: « .. وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي..» [٣]

كما أشار إلى ذلك ابن حزم في كتبه[٤] ، وأنها حق ، واستدل على ذلك بأدلة عدة.

* **أصل كلمة شفاعة:**

قال القرطبي في تفسيره موضحاً اشتقاقها في اللغة ومعناها: « الشفاعة والشفاعة مأخوذة من الشفع وهما الاثنان تقول كان وترا فشفعته شفعا» وقال: «واستشفعته إلى فلان سألته أن يشفع لي إليه وتشفعت إليه في فلان فشفعني فيه فالشفاعة إذاً ضم غيرك إلى جاهك ووسيلتك . فهي على التحقيق إظهار لمنزلة الشفيع ثم المشفع وإيصال منفعته للمشفوع» [٥].

أنواع الشفاعة

تكلم العلماء على أقسام الشفاعة وأنواع الشافعين بالنظر إلى تعددها ، وتنوع أنواع الشافعين ، ودليلهم وقائدهم في ذلك كتاب الله وسنة رسوله ﷺ :

* **أقسام الشفاعة :**

ذهب الإمام الداني في رسالته إلى أنها :

١- الشفاعة العامة

٢- الشفاعة في أهل الكبائر أن يخرجوا من النار

٣- الشفاعة في العصاة [٦].

وعددها القرطبي في كتبه عن أهل العلم أنها:

١- الشفاعة العامة

---

١ انظر أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي الجامع لأحكام القرآن ٢٣٦/١ ، ٢٥٠ ، ٣٧٨ ، ٢٧٣/٣

٢ انظر التمهيد ٦٢/١٩ ، ٦٣ ، ٧١ ، ٢٢٢/٥ ، ٢٥٦/٣

٣ رواه مسلم ١٨٩/١ ، باب اختباء النبي ﷺ دعوة الشفاعة لأمته . وابن حبان في صحيحه ٧٦/١٤ ، وأحمد في المسند ٢٨١/١ .

٤ انظر محمد علي بن حزم ، المحلى ١٦/١ ، ٤٣ ، ٦٥

٥ أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي الجامع لأحكام القرآن ٣٧٧/١ ، ٣٧٨

٦ انظر أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني ، الرسالة الوافية ، ص ١١٢ ، ١١٣

١- الشفاعة العامة

٢- إدخال قوم الجنة بغير حساب

٣- الشفاعة فيمن استوجب النار من الأمة أن لا يدخلها

٤- الشفاعة فيمن دخل النار أن يخرج منها

٥- الشفاعة في زيادة درجات أهل الجنة

٦- الشفاعة في تخفيف العذاب عن أبي طالب عم النبي ﷺ [١].

كما ذكر ابن حزم في رسائله نوعين من الشفاعة:

١- الشفاعة العامة

٢- خروج أهل الكبائر من النار [٢].

*** أنواع الشافعين :**

ذكر الإمام الداني[٣] من أنواع الشافعين :

النبي ﷺ ، وأهل البيت ، والصحابة ، ومن يشاء الله من عباده الصالحين .

غـــير أنه ذكر أن ذلك معتقد أهل السنة والجماعة ، وأورد جملة من الأحاديث التي يستنبط منها بعض من ذكرهم آنفاً .

وذكر الإمام القرطبي ابن فرح[٤] أنواعاً من الشافعين ، وهم:

الأنبياء ، العلماء ، الشهداء . مستدلاً بحديث في ابن ماجة[٥] .

كما ذكر: الصيام ، القرآن . مستدلاً بحديث عن ابن المبارك [٦].

وذكر في تفسيره شفاعة المؤمنين في صنفين :

فيمن دخل النار أن يخرج منها .

فيمن استوجب دخولها أن لا يدخلها[٧] .

وذكر شفاعة الملائكة في موضع آخر[١]

---

١ انظر أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي التذكرة، ص٢١٣، ٢١٧، ٢٩٦، والجامع لأحكام القرآن ٣/٢٧٤

٢ انظر رسائل ابن حزم ٣ / ١٥٧

٣ انظر أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني ، الرسالة الوافية ، ص ١١٢

٤ انظر أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي التذكرة ، ص ٢٩٨

٥ رواه ابن ماجة ٢/١٤٤٣ .

٦ انظر أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي التذكرة ، ص ٣٠٠

٧ انظر أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي الجامع لأحكام القرآن ٣ / ٢٧٤ ، ١١/١٣٧

منكرو الشفاعة والرد عليهم

ذكر القرطبي أن أهل البدع من الخوارج والمعتزلة أنكرت شفاعة النبي ﷺ في أهل الكبائر الذين استحقوا دخول النار ألا يدخلوها .

وسبب ذلك ما بنوه على أصولهم الفاسدة وهي الاستحقاق العقلي المبني على التحسين والتقبيح[٢] .

كما ذكر ابن حزم الشفاعة وأنواعها ، وحكم على من أنكرها أو تأولها على غير وجهها فقد قال قولاً فاسداً لا يعذر به لدلالة النصوص الظاهرة عليه[٣].

وفي معرض الرد على من أنكرها أورد القرطبي قول القاضي عياض لما أورد الرد بقوله: «وقد تمسك القاضي عليهم في الرد بشيئين:

أحدهما: الأخبار الكثيرة التي تواترت في المعنى .

الثاني: الإجماع من السلف على تلقي هذه الأخبار بالقبول. ولم يبد من أحد منهم في عصر من الأعصار نكير ، فظهور روايتها وإطباقهم على صحتها وقبولهم لها ، دليل قاطع على صحة عقيدة أهل الحق وفساد دين المعتزلة ».[٤]

الشفاعة العظمى

وهي الشفاعة التي يتدافعها الأنبياء ، وهي المقام المحمود ، وهي الشفاعة العامة التي لم يذكر فيها أن أحداً من أهل البدع أنكرها.

وقد ذكرها العلماء مستدلين بأدلة من الكتاب والسنة ثابتة مشهورة أشهر من أن تذكر ، ومنهم ابن حزم يرحمه الله [٥].

وكذا أبو العباس القرطبي وسماها المقام المحمود[٦] .

وذكرها المفسر القرطبي ابن فرح في كثير من المواضع، وسماها الشفاعة العامة والمقام المحمود[٧] .

---

١ انظر المصدر السابق ١٢/ ٨٦ ، ١٩/٨٨

٢ انظر أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي التذكرة ، ص ٢١٧، والجامع لأحكام القرآن١/ ٣٧٨ ، ١٠/٣١٠

٣ انظر محمد علي بن حزم ، المحلى ١١ / ٩٨

٤ انظر أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي الجامع لأحكام القرآن ١/ ٣٧٧ ، ٣٧٨ ، ١٠ /٣١٠

٥ انظر محمد علي بن حزم رسائل ابن حزم ٣ / ١٥٧ ، ١٥٨

٦ انظر أحمد بن عمر القرطبي ، المفهم ١ / ٤٣٠

٧ انظر أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي الجامع لأحكام القرآن ١٠ /٣٠٩، ٣١٠، ٩ / ٣٥٦ ، ٧/١٥٨ .

الشفاعة في أهل الكبائر

استدل العلماء على هذه العقيدة بأدلة كثيرة مستفيضة من السنة عليها ، وعابوا من أنكرها من أهل البدع ..واستدل القرطبي عليها بحديث جابر بن عبدالله ﷺ قال: قال النبي ﷺ : «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي» [1]، وقال: « والآثار في هذا كثيرة متواترة والجماعة أهل السنة على التصديق بها لا ينكرها إلا أهل البدع» [2] ، وذهب إلى أن هذا يدل على فساد دين المعتزلة ، ولا سيما أن الله أثبتها لقوم ونفاها عن قوم آخرين [3].

واستدل كذلك[4] بحديث مسلم: «حتى إذا كانوا فحماً أذن في الشفاعة فجئ بهم ضبائر ضبائر ، فبثوا على أنهار الجنة ..» [5].

وأثبتها الإمام ابن حزم في كتبه واستدل عليها ، وقال:«جاءت الشفاعة التي ادخرها الله لنبيه ﷺ وجاءت الرحمة التي ادخرها الله لذلك اليوم الفظيع والموقف الشنيع ، وأخرجوا كلهم من النار فوجاً بعد فوج بعدما امتحشوا أو صاروا حمماً » . ويكمل مخاطباً طلابه: «والله أيها الإخوة لولا أن عذاب الله لا يهون منه شئ ، ولا يتمناه عاقل ، لتمنيت أن أكون من هؤلاء خوفاً من خاتمة سوء ، وأعوذ بالله مما يوجب الخلود ويقتضي جوابه تعالى إذ يقول: ﴿ اخسؤوا فيها ولا تكلمون﴾ [6] »[7]

شفاعة تخفيف العذاب عن أبي طالب

استدل على الإيمان بذلك الإمام القرطبي[8] بحديث مسلم عن العباس بن عبد المطلب قال: قلت: يا رسول الله: إن أبا طالب كان يحوطك وينصرك فهل نفعه ذلك؟ قال:

---

١ سبق تخريجه في هذا الفصل .

٢ أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي الجامع لأحكام القرآن ١٠ / ٣١٠

٣ انظر المصدر السابق ١ / ٣٧٨

٤ انظر المصدر نفسه ١ / ٢٥٠

٥ رواه مسلم ١٧٢/١ ، باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين.. ، وأحمد في المسند ١١/٣ . وابن حبان في صحيحه ٤١١/١ . وأبو يعلى في المسند ٥١٨/٢ .

٦ الآية رقم: (١٠٨) من سورة المؤمنون .

٧ محمد علي بن حزم ، رسائل ابن حزم ٣/ ١٥٧

٨ انظر أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي الجامع لأحكام القرآن ١ / ٢٣٦ ، ٨/ ١٦٣ ، ٢٧٥

«نعم وجدته في غمرات من النار ، فأخرجته إلى ضحضاح ، وفي رواية: ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار..»[1].

خصوصية أهل المدينة في شفاعة نبينا ﷺ

استدل أبو العباس القرطبي[2]. على ذلك بحديث في مسلم عن المدينة المنورة ، ومنه: «ولا يثبت أحد على لأوائها وجهدها إلا كنت له شفيعاً أو كلاهما يوم القيامة »[3]. وقال شارحاً وموضحاً: « ويكون المعنى: إن الصابر على شدة المدينة صنفان ، من يشفع له النبي ﷺ من العصاة ، ومن يشهد له بما نال فيها من الشدة ؛ ليوفى أجره ، وشفاعته ﷺ ، وإن كانت عامة للعصاة من أمته إلا أن العصاة من أهل المدينة لهم زيادة خصوص منها..» [4].

حكم الشفاعة في الكافرين

وهي الشفاعة في إخراج الكافرين من النار ، والذي رجحه أهل العلم من العلماء الأندلسيين أنها شفاعة ممنوعة ؛ لدلالة النصوص عليه. قال القرطبي ابن فرح: « ..وأيضاً فإن الله تعالى أثبت شفاعة لأقوام ونفاها عن أقوام ، فقال في صفة الكافرين ﴿فما تنفعهم شفاعة الشافعين﴾[5] وقال: ﴿ولا يشفعون إلا لمن ارتضى﴾[6] وقال: ﴿ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له﴾[7] ، فعلمنا بهذه الجملة أن الشفاعة إنما تنفع المؤمنين دون الكافرين ، وقد أجمع المفسرون على أن المراد بقوله تعالى: ﴿واتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً ولا يقبل منها شفاعة﴾ [8] النفس الكافرة ..» [9]

---

١ رواه محمد بن إسماعيل البخاري ١٤٠٨/٣ ، كتاب المناقب ، باب قصة أبي طالب . ومسلم ١٩٤/١ ، باب شفاعة النبي ﷺ لأبي طالب . وأحمد في المسند ٢٠٦/١ .

٢ انظر أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي المفهم ٤٨٢/٣ ، ٤٨٣

٣ رواه مسلم ٩٩٢/٢ ، باب فضل المدينة.. ، وأحمد في المسند ١٨١/١ . وغيرهما

٤ أحمد بن عمر القرطبي ، المفهم ٣ / ٤٨٢ ، ٤٨٣

٥ سورة المدثر الآية (٤٨)

٦ سورة الأنبياء الآية (٢٨)

٧ سورة سبأ الآية (٢٣)

٨ سورة البقرة الآية (٤٨)

٩ أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي الجامع لأحكام القرآن ١ / ٣٧٨

واستدل أبو العباس القرطبي بالحديث الآنف عن أبي سعيد الخدري: «لا يصبر أحد على لأوائها وشدتها فيموت إلا كنت له شفيعاً أو شهيداً يوم القيامة إذا كان مسلماً..» [1]

وقال[2]: وقوله: «إذا كان مسلماً» يقيد ما تقدم من مطلقات هذه الألفاظ. وينبه على القاعدة المقررة: من أن الكافر لا تناله شفاعة شافع كما قال تعالى مخبراً عنهم: ﴿فما لنا من شافعين ولا صديق حميم﴾ [3]

الفصل الخامس

العرض والحساب

إن من الواجبات المتحتمة على المسلم الإيمان بالحساب والعرض من أعمال اليوم الآخر ، كما دل علي ذلك الكتاب والسنة .

مكان العرض

ذهب القرطبي في تفسيره إلى أن مكان العرض بعد النفخ في الصور للبعث فيأتون إلى موضع العرض أفواجاً[4] في عرصات القيامة.

وذهب[5] إلى أن حساب المؤمنين عرض يسير ، وأن من نوقش الحساب عذب ، واستدل بحديث عائشة ، قال: قال رسول الله ﷺ : « من حوسب يوم القيامة عذب» قالت: فقلت يا رسول الله أليس قد قال الله ﴿فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا﴾ ، فقال: «ليس ذاك الحساب إنما ذلك العرض من نوقش الحساب يوم القيامة عذب» [6].

وذكر ذلك الإمام ابن رشد في باب مناقشة الحساب: «وسمعته يقول: قالت عائشة: من نوقش الحساب هلك. قال محمد بن رشد: قول عائشة هذا يشهد القرآن

---

١ رواه مسلم ١٠٠٢/٢ ، باب الترغيب في سكنى المدينة.. ، وأحمد في المسند ٥٨/٣ . وأبو يعلى في المسند ٤٥٥/٢ .

٢ أحمد بن عمر القرطبي ، المفهم ٣ / ٤٩٣

٣ سورة الشعراء الآيات (١٠٠ ، ١٠١)

٤ انظر أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي الجامع لأحكام القرآن ١٩ / ١٧٥

٥ انظر المصدر السابق ١٩ / ٢٧٢

٦ رواه البخاري ١٨٨٥/٤ ، كتاب التفسير ، باب فسوف يحاسب حساباً يسيرا . ومسلم ٢٢٠٤/٤ ، كتاب صفة القيامة ، باب إثبات الحساب . وأحمد في المسند ٤٧/٦ وغيرهم .

بصحته قوله ﷻ: ﴿فأما من أوتي كتابه...﴾ [1] إلى قوله: ﴿مسرورا﴾ ، وبالله التوفيق» [2] .

معنى الحساب وحكم الإيمان به والأدلة عليه

استدل القرطبي [3] على ذلك بقوله تعالى: ﴿إن الله سريع الحساب﴾ [4] ،وبقوله تعالى: ﴿فسوف يحاسب حساباً يسيراً﴾ [5] ، وقال مبيناً الحساب بأنه: « ..مصدر كالمحاسبة ، وقد يسمى المحسوب حساباً والحساب العد ، يقال حسب يحسب حساباً وحسابة وحسباناً وحسباً أي عد» [6].

وحكى أبو عمرو الداني مذهب أهل السنة والجماعة في ذلك فقال: «فصل في الحساب: ومن قولهم: إن الله يحاسب عباده يوم القيامة ويسأل عن أعمالهم» [7] ، واستدل بجملة أدلة منها: قوله تعالى: ﴿ إن حسابهم إلا على ربي لو تشعرون﴾ [8] وبقوله ﷺ : «ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله ليس بينه وبينه ترجمان » [9].

أول ما يحاسب عليه العبد ، وأول من يحاسب من الأمم

ذهب القرطبي [10] أن أول ما يحاسب عليه العبد من عمله :

الصلاة. وأول ما يقضى فيه بين الناس الدماء، واستدل على ذلك بحديث ابن مسعود قال قال رسول الله ﷺ: «أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء» [11].

---

١ سورة الانشقاق الآية (٧-٨)

٢ البيان والتحصيل ١٧ / ٣٥٣

٣ انظر أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي الجامع لأحكام القرآن ١٤ / ٢٨٩ ، ١٩ / ٢٧٢

٤ سورة آل عمران الآية (١٩٩)

٥ سورة الانشقاق الآية (٨)

٦ أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي الجامع لأحكام القرآن ٢ / ٤٣٤

٧ أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني الرسالة الوافية ، ص ٨٠

٨ سورة الآية (١١٣)

٩ رواه البخاري ٥١٢/٢ ، كتاب الزكاة ، باب الصدقة قبل الرد . ومسلم ٧٠٣/٢ ، كتاب الزكاة ، باب الحث على الصدقة .. ، وأحمد في المسند ٢٥٦/٤ .

١٠ انظر أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي التذكرة ، ص ٢٤٣

١١ رواه البخاري ٢٣٩٤/٥ ، كتاب الرقاق ، باب القصاص يوم القيامة.. ، ومسلم١٣٠٤/٣ ، باب المجازاة بالدماء في الآخرة .

وعـــنه أن رسول الله ﷺ قال: «أول ما يحاسب عليه العبد الصلاة ، وأول ما يقضى بين الناس الدماء» [1].

وبوب: باب أول من يحاسب أمة محمد ﷺ [2]. واستدل بحديث ابن عباس عن النبي ﷺ قـــال: «نحـــن آخـــر الأمـــم وأول من يحاسب ، يقال: أين الأمة ونبيها؟ فنحن الآخرون الأولون» [3].

شبهات المنكرين لموقف العرض والحساب

أثار بعض الملاحدة –عبر تاريخ الإسلام– بعض الشبهات في التكذيب بعقيدة البعث والجزاء وذلك عن طريق إظهار التناقض في النصوص الشرعية ، ومن ذلك مـــا فعله ابن نغريلة اليهودي في كتاب له ، وقد استعرض ابن حزم شبهاته وتعقبها بالـــرد فـــي رســـالته الشهيرة[4] ، وقد أورد له في باب العرض والحساب شبهتين وأجاب عليهما :

الأولـــى: ذكرها بقوله: «ذكر الخسيس الجاهل قول الله تعالى: ﴿ هَذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴾ [5] ، ثم قال في آية أخرى: ﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَـادِلُ عَـنْ نَفْسِـهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ ﴾ [6] ، قال وهذا تـــناقض عظـــيم » [7]، ثـــم انبرى للرد عليه فبراه وأبان بأن المنع من النطق يوم القيامة إنما هو في بعض مواقف يوم القيامة ، واستدل بالآيات التي تدل على ذلك ، وأن يـــوم لا يـــنطقون هو يوم إيرادهم على النار ، وأن الموقف الذي فيه جدال هو حـــق الناس بعضها من بعض ، وهذا لا فرق فيه بين مسلم وكافر على ما صح عن النبـــي ﷺ مـــن أن يوم القيامة يقص لشاة جماء من الشاة القرناء .. ، وأبان عورهم وقال: «قال أبو محمد: ليس في حماقاتهم المبدلة التي يسمونها التوراة ذكر أجر ولا ثـــواب المحســـن بعد الموت ، ولا عقاب لمسئ في الدنيا أصلاً ولا في الكتب التي

---

١ رواه أبو يعلى في المسند ٢٨٥/٩ . والشهاب في مسنده ١٥٤/١ .

٢ انظر أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي التذكرة ، ص ٢٤٣

٣ رواه أحمد ٢٨١/١ . وابن ماجه ١٤٣٤/٢ ، باب صفة أمة محمد .

٤ انظر محمد علي بن حزم ، رسائل ابن حزم ٣ / ٤٩ ، ٥٠

٥ سورة المرسلات الآية (٣٥ ، ٣٦)

٦ سورة النحل الآية (١١١)

٧ محمد علي بن حزم ، رسائل ابن حزم ٣ / ٥٠

ينسبونها إلى أنبيائهم ..» [1] . ثم أورد نصوصاً من كتبهم تدل على قدم الكون وإبطال المعاد .

الثانية : أوردها بقوله: «ثم ذكر هذا الزنديق الجاهل قول الله تعالى : ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِ إِنسٌ وَلَا جَانٌّ ﴾ [2]، قال: ثم قال في آية أخرى: ﴿ فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [3] ، قال: وهذا تناقض» . ثم رد قائلاً :

«قال أبو محمد: لو فهم هذا المائق الجاهل أدنى فهم لم يجعل هذا تعارضاً . أما قول الله تعالى: ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِ إِنسٌ وَلَا جَانٌّ ﴾ فإن ما بعد هذه الآية متصلاً بها قوله تعالى: ﴿ يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [4] فصح بهذا النص إنما هو في حين إيراد جهنم التي هي إن شاء الله دار هذا الخسيس ذي الظهارة اليهودية والبطانة الدهرية ، ولا ريب أنه إذا أخذ بناصيته وقدميه ليهوي بها في النار نار جهنم ، فإنه لا يسأل عن ذنبه يومئذ . وأما قوله تعالى: ﴿ فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴾ فإنما ذلك في أول وقوفهم يوم البعث وحين المسألة والحساب ، فارتفع هذا التناقض الذي لا مدخل له فيه في شيء من القرآن ولا في كلام النبي ﷺ »[5]. ثم تعقب اليهودي بإيراد نصوص كتبهم المتناقضة حقاً ، والمنتقصة لعظمة المولى ﷻ .

الفصل السادس

الحوض والكوثر

دلت النصوص الشرعية على حقيقة الحوض وسعته . فأين مكانه؟ وما معنى الكوثر؟ وهل كل الناس ترده؟ ومن المطرودون عن الحوض؟

---

١ محمد علي بن حزم ، رسائل ابن حزم ٣ / ٥٠ ، ٥١

٢ سورة الرحمن الآية (٣٩)

٣ سورة الأعراف الآية (٦)

٤ سورة الرحمن الآيات (٤٠ – ٤٥)

٥ محمد علي بن حزم ، رسائل ابن حزم ٣ / ٥٠ ، ٥١

الأدلة عليه وحكم الإيمان به

استدل أبو عمرو الداني على الحوض والكوثر بأدلة كثيرة ، وحكى معتقد أهل السنة والجماعة فيه.

فقال -يرحمه الله-: «ومن قولهم إن للرسول ﷺ في المعاد حوضاً شرابه أشد بياضاً من اللبن ، وأحلى من العسل ، وفيه من الآنية مثل عدد نجوم السماء، يقع فيه ميزابان من الكوثر ، لا يظمأ من شرب منه من المؤمنين ، ويمنع منه من انحرف عن الدين ، وخالف السبيل المستقيم على ما صحت به الأخبار عن الرسول ﷺ . قال عز من قائل: ﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾ [١] والكوثر نهر في الجنة أعطيه نبينا ﷺ ، بذلك تواترت الأخبار ، وصحت الآثار »[٢].

وكذا القرطبي في التذكرة في باب الحوض[٣] ، استدل بكثير من الأدلة، وهذا اعتقاد السلف في هذا المورد الكريم .

مكان الحوض ومعنى الكوثر

رجح القرطبي ابن فرح أن الحوض ليس واحداً بل هما اثنان ، وأن مكانه قبل الصراط. ومما ذكره رحمه الله: «الصحيح أن للنبي ﷺ حوضين ، أحدهما: قبل الصراط ، والثاني: في الجنة وكلاهما يسمى كوثراً » ، وقال بعد كلام أورده: « الكوثر في كلام العرب الخير الكثير» [٤].

ورجح كذلك أن الحوض قبل الميزان ، وقال: «والمعنى يقتضية ، فإن الناس يخرجون عطاشاً من قبورهم كما تقدم ، فيقدم قبل الصراط والميزان ، والله أعلم» [٥].

وأكد -يرحمه الله - معتقد أهل السنة والجماعة أنه في غير هذه الأرض ، وقال: «ولا يخطر ببالك أو يذهب وهمك إلى أن الحوض يكون على وجه هذه الأرض ، وإنما يكون وجوده في الأرض المبدلة ..» [٦].

---

١ سورة الكوثر الآية (١)

٢ أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني ، الرسالة الوافية ، ص ١١١

٣ انظر أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي التذكرة ، ص ٢٦٢

٤ انظر المصدر السابق ، ص ٢٦٢

٥ انظر المصدر نفسه ، الصفحة عينها

٦ المصدر نفسه ، ص ٤٦٤

المطرودون عن الحوض

استدل القرطبي ابن فرح في تفسيره[1]. على أن ناساً من أمة النبي ﷺ سيطردون من ورود الحوض بحديث ابن عباس الطويل ومنه: «..وإنه سيجاء برجال من أمتي ، فيؤخذ بهم ذات الشمال ، فأقول يا رب أصحابي ، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك..» [2].

وفي تذكرته أورد باباً سماه: باب ذكر من يطرد عن الحوض ، واستدل بأدلة كثيرة.. ، ثم أورد فصلاً في الباب ذكر فيه أن العلماء قالوا: إن من يطردهم: من ارتد عن دين الله أو أحدث فيه ، أو من فارق الجماعة كالخوارج والروافض والمعتزلة. وكذلك الظلمة المسرفون ، والعاصون المرتكبون للكبائر[3].

الفصل السابع

الميزان

من أبرز مواقف عرصات القيامة ، موقف الميزان العدل الذي ينصب للناس فتوزن به أعمالهم حسنها وسيئها ، فما حكم الإيمان به ؟ وما حقيقته ؟ وهل الموازين متعددة؟ ومن هم منكرو الميزان.. الخ

حكم الإيمان بالميزان

أورد الإمام أبو عمرو الداني عقيدة أهل السنة والجماعة في الميزان ، فقال: «ومن قولهم إن الله تعالى يضع الموازين ، وتأتي كل نفس معها سائق وشهيد ، فيزن صحائف الأعمال ، كما أخبر ﷻ بذلك» [4].

كما حكى معتقد أهل السنة والجماعة الإمام القرطبي[5] في تذكرته -بعد إيراد الأدلة- وقال:« فصل: قال المؤلف: الميزان حق..» [6].

---

١ انظر أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي الجامع لأحكام القرآن ٦/ ٣٧٧

٢ رواه البخاري ١٦٩١/٤ ، كتاب التفسير ، باب وكنت عليهم شهيداً .. ، ومسلم ٢١٧/١ ، باب استحباب إطالة الغرة .

٣ انظر أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي التذكرة ، ص ٢٦٥ ، ٢٦٦

٤ أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني ، الرسالة الوافية ، ص ١٠٩

٥ انظر أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي التذكرة ، ص ٢٧٠

٦ المصدر السابق ، ص٢١٧

وقال الإمام ابن حزم: «مسألة: وأن الموازين حق توزن فيها الأعمال..» [1].

الأدلة على الميزان

استدل الإمام ابن حزم[2] على الميزان بقوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾[3]

كما استدل الإمام الداني[4] بأدلة عدة منها قوله تعالى: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَـئِكَ الَّذِينَ خَسِرُواْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِآيَاتِنَا يِظْلِمُونَ ﴾[5]

وبقوله ﷺ : «كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم» [6]

واستدل القرطبي[7] بكثير من الأدلة عليه منها قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴾[8] ، وبآية الأعراف الآنفة الذكر .

حقيقة الميزان

ذهب ابن جزي الكلبي أن الميزان حقيقي لا شك فيه وقال: «بأن مذهب أهل السنة أن الميزان يوم القيامة حقيقة له كفتان ولسان وعمود توزن فيه الأعمال» [9].

---

١ محمد علي بن حزم ،المحلى ١ / ١٥

٢ انظر المصدر السابق ١ / ١٥ ، ٤١ ، ١٠٠

٣ سورة الأنبياء الآية (٤٧)

٤ انظر أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني ، الرسالة الوافية ، ص ١٠٩ ، ١١٠

٥ سورة الأعراف الآية (٨ ، ٩)

٦ رواه البخاري ٢٣٥٢/٥ ، كتاب الدعوات ، باب فضل التسبيح . ومسلم ٢٠٧٢/٤ ، كتاب الذكر والدعاء ، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء .

٧ انظر أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي التذكرة ، ص ٢٧٠

٨ سورة القارعة الآيات (٦-٩)

٩ التسهيل لعلوم التنزيل ٣ / ٢٧

وقـــرر القرطبـــي معتقد أهل السنة والجماعة في الميزان ، وقال: « قد تقدم القــول فـــي المـــيزان في الأعراف والكهف والأنبياء وأن له كفة ولساناً توزن فيه الصحف المكتوب فيها الحسنات والسيئات »[١].

منكرو الميزان

أشـــهر من أنكر الميزان فرقة المعتزلة وبعض المتكلمين ، وقد بين القول في ذلك الإمام القرطبي في كتابيه ، فقال: «فصل: أصل ميزان موزان ، قلبت الواو ياء لكسرة ما قبلها. قال ابن فورك: وقد أنكرت المعتزلة الميزان بناء على أن الأعراض يستحيل وزنها ، إذ لا تقوم بأنفسها ، ومن المتكلمين من يقول كذلك..» [٢].

وقـــد ساق القرطبي الأدلة الشرعية التي ترد قول المنكرين إذ لا حجة لهم ، وبالله التوفيق.

هل الموازين متعددة

استقصـــى الإمـــام القرطبي الأقوال في ذلك ، وأطال فيها -يرحمه الله- عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ [٣] ، وحاصلها:

قيل إنه يدل بظاهره على أن لكل مكلف ميزاناً توزن به أعماله.

قيل إن هناك موازين للعامل الواحد توزن به أعمالهم.

ويمكن أن يكون ميزاناً واحداً عبر عنه بالجمع.

قيل: للميزان كفتان وخيوط ولسان فالجمع يعود إليها[٤] .

ما الذي يوزن

نقد القرطبي قول المتكلمين أن الأعراض يستحيل وزنها ، إذ لا تقوم بأنفسها ، وذكر قول ابن عباس أن الله تعالى يقلب الأعراض أجساماً .

وعقـــب بقولـــه: «والصحيح أن الموازين تثقل بالكتب فيها الأعمال مكتوبة ، وبها تخف ، كما دل عليه الحديث الصحيح والكتاب العزيز» ، ثم قال بعد كلام له: «وإذا

---

١ أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي الجامع لأحكام القرآن ٢٠ / ١٦٦

٢ أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي التذكرة ، ص ٢٧٣ . وانظر كذلك الجامع لأحكام القرآن ٧ /١٦٥

٣ سورة الأنبياء الآية (٤٨)

٤ انظر أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي الجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٩٣

ثبت هذا فالصحف أجسام ، فيجعل الله رجحان إحدى الكفتين على الأخرى دليلاً على كثرة أعماله بإدخاله الجنة أو النار» [1].

من الذي لا ميزان له

ذهب الإمام ابن حزم أن الذي يوضع في الميزان هو من لم يجتنب الكبائر ، فقال: «مسألة: ومن لم يجتنب الكبائر حوسب على كل عمل ووازن الله ﷻ عمله..» [2].

وقارب ذلك الإمام الداني ، وذهب إلى أن الكفار لا ميزان لهم مستدلاً ببعض الآيات . قال يرحمه الله: «والموازنة للمؤمنين الذين معهم طاعات وسيئات ربما اعتدلت ، فربما رجح بعضها على بعض ، وأما الكفار فلا طاعة لأحد منهم يوازن بها كفرهم ، فوجب أن لا يكون لهم حسنات ، ولا موازنة ، قال الله تعالى فيهم: ﴿فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا﴾ [3] »[4].

وإلى منع الميزان عن الكافرين ذهب القرطبي في تذكرته –بعد الاستدلال عليه– فقال: «قال العلماء: معنى هذا الحديث أنه لا ثواب لهم وأعمالهم مقابلة بالعذاب ، فلا حسنة لهم توزن في موازين يوم القيامة ، ومن لا حسنة له فهو في النار..» [5].

الفصل الثامن

الصراط

وهذه المنزلة الخطيرة عقيدة أصيلة في ركن الإيمان باليوم الآخر فما صفته؟ وما حكم الإيمان به؟ وما معنى الورود ؟

---

١ أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي التذكرة ، ص ٢٧٢ ، ٢٧٣

٢ محمد علي بن حزم ،المحلى ، ص ٢٧٠

٣ سورة الكهف الآية(١٠٥)

٤ أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني ، الرسالة الوافية ، ص ١١٠

٥ أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي التذكرة ، ص ٢٧٠

الأدلة عليه وحكم الإيمان به

استدل الإمام القرطبي[1]. على تقرير عقيدة أهل السنة والجماعة بأدلة عدة منها حديث أبي سعيد الخدري: «ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة» [2].

وقررها كذلك الإمام الداني بفصل يدل على وجوب ذلك: «ومن قولهم إن الله سبحانه يمد الصراط جسراً على شفير جهنم للجواز عليه» [3]

، واستدل عليه بأدلة منها حديث عائشة رضي الله عنها أنها سألت رسول الله ﷺ عن قول الله: ﴿يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات﴾ [4]، أين يكون الناس يومئذٍ؟ قال: «على الصراط» [5].

صفة الصراط

*** وقوف الناس عليه:**

استدل الإمام أبو العباس القرطبي على وقوف الناس على الصراط بحديث عائشة الآنف : «على الصراط» أن ظاهر الحديث يدل على أنه الصراط الممدود على متن جهنم ، وذكر الحديث الآنف: «هم في اللمة دون الجسر» ، وفسره: أي على الجسر[6].

*** أرق من الشعر وأحد من السيف:**

وإليه ذهب الداني وأنه على حقيقته: «أرق من الشعر وأحد من السيف على ما صحت به الأخبار وثبتت به الآثار عن رسول الله ﷺ »[7]. قلت: ذكر ابن حجر في الفتح أنه روي في ذلك ولكنه معضل أو مرسل[8] ، وعليه فهي ضعاف لا تثبت ، والله أعلم.

---

١ انظر أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي الجامع لأحكام القرآن ٣ / ٢٧٤ ، والتذكرة ، ص ٢٨٧ وما بعدها

٢ رواه مسلم ١٦٩/١ ، باب معرفة طريق الرواية .

٣ أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني ، الرسالة الوافية ، ص ١٠٨ ، ١٠٩

٤ سورة إبراهيم الآية (٤٨)

٥ رواه مسلم ٢١٥٠/٤ ، كتاب صفة القيامة ، باب في البعث والنشور.. . وأحمد في المسند ١٣٤/٦.

٦ انظر أحمد بن عمر القرطبي ، المفهم ٧ / ٣٥٢

٧ أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني ، الرسالة الوافية ، ص ١٠٨

٨ انظر فتح الباري ٤٥٤/١١

*** حسك وكلاليب لا تمنع سرعة المرور للمؤمنين:**

ذكــر ذلــك القرطبـــي[١]. واستدل بحديث: «..وفي حافتي الصراط كلاليب معلقة مأمورة بأخذ من أمرت بأخذه فمخدوش ناج ومكردس في النار» [٢].

*** دحض مزلة به خطاطيف:**

واســتدل القرطبي[٣]. ابن فرح عليه بحديث: قيل يا رسول الله وما الجسر؟ قال: « دحــض مــزلة فــيها خطاطــيف وكلاليب وحسكة تكون بنجد فيها شويكة يقال لها الســعدان فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجاويد الخيل والركاب»[٤].

معنى ورود الصراط وهل هو صراط واحد

فــي قــول الله تعالى : ﴿ وإن منكم إلا واردها ﴾[٥].دليل على ورود النار نجانا الله مــنها. وقد ذكر ابن عبد البر أقوال الناس في المراد بالورود عليها ، ومن ذلك: أن معناه:

- المرور على الصراط
- أن الآية خطاب للكفار واستدل بقراءة: «وإن منهم إلا واردها» عن ابن عباس .
- أن الورود أي الرؤية لها ، والدخول فيها فلا تؤذي المؤمنين.
- أن المــراد في الحديث«إلا تحلة القسم» [٦] بالاستثناء أنه منقطع بمعنى لكن تحلة القسم ، فيصير إلا تحلة القسم أي لا تمسه النار أصلاً [٧]،ومال إلى هذا الأخير .

---

١ انظر أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي التذكرة ، ص ٢٨٧

٢ رواه مسلم ١/١٨٧ ، باب أدنى أهل الجنة منزلة . والحاكم في المستدرك ٤/٦٣١ . وغيرهما

٣ انظر التذكرة ، ص ٢٨٨

٤ رواه مســلم ١/١٦٩ ، كــتاب صــفة القيامة.. ، باب معرفة طريق الرؤية . وابن أبي شيبة في المصنف ٧/٥٩ . والطيالسي في مسنده ، ص ١/٢٨٩ .

٥ سورة مريم الآية (٧١)

٦ رواه الــبخاري١/٤٢١ ، كــتاب الجنائز ، باب فضل من مات له ولد . ومسلم ٤/٢٠٢٨ ، باب فضل من يموت له ولد.. . وأحمد في المسند ٢/٢٣٩ .

٧ انظر التمهيد ٦ / ٣٥٦ - ٣٦٢

كما ذكر القرطبي هذه الأقوال بل أكثر وزاد قوله:

«قلت: والذي يجمع شتات الأقوال: أن يقال إن من وردها ، ولم تؤذه بلهبها وحرها فقد أبعد عنها ونجي منها ، نجانا الله منها..» [1].

*** الصراط الثاني :**

وذكــر هذا القرطبي ابن فرح[2] ، وذهب إلى أنه «القنطرة التي بين الجنة والنار» واســتدل بحديــث صح عن النبي ﷺ : «أصحاب الجنة محبوسون على قنطرة بين الجنة والنار يسألون عن فضول أموال كانت بين أيديهم» [3].

الفصل التاسع

الأعراف

الأعراف منزلة خطيرة وشأنها كبير. فما حكم الإيمان بها؟ ولم سميت بذلك؟ وما حقيقة أهلها؟ وما حال أهلها وما مصيرهم ؟

الدليل عليها ومعناها

اســتدل أهــل العلم[4] على هذا المكان وتلك المرتبة بقوله تعالى: ﴿ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ ﴾ [5].

وفُسر بأنهم على أعراف السور وهي شرفة ، ومنه عرف الديك ، والأعراق فــي اللغــة: المكان المشرف ، جمع عرف[6]، والأعراف سور بين الجنة والنار ، وقيل هو جبل أحد يوضع هناك[7] .

حقيقة أهل الأعراف

اختلف أهل العلم في حقيقة أهل تلك المرتبة على أقوال كثيرة تجاوزت عشرة أقوال ، وقد ذكرها القرطبي ابن فرح ، وملخصها:

---

١ أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي التذكرة ، ص ٢٩٢

٢ انظر المصدر السابق ، ص ٢٩٤ ، ٢٩٥

٣ لــم أجده بهذا اللفظ . وأصله في مسلم ٢٠٩٦/٤ ، باب أكثر أهل الجنة الفقراء ، بلفظ : «وإذا أصحاب الجد محبوسون» ، وليس فيه ذكر القنطرة ، وكذا في مسند أحمد ٢٠٥/٥

٤ انظر محمد علي بن حزم ، رسائل ابن حزم ١٥٦/٣ ، والجامع لأحكام القرآن ٢١٠/٧

٥ سورة الأعراف الآية(٤٦)

٦ انظر أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي الجامع لأحكام القرآن ٧ / ٢١١ ، ٢١٣

٧ انظر أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي التذكرة ، ص ٢٨٠

- أنهم مساكين أهل الجنة
- أنهم قوم صالحون فقهاء وعلماء
- أنهم الشهداء
- هم فضلاء المؤمنين والشهداء تفرغوا لمطالعة حال الناس
- المستشهدون الذين خرجوا عصاة لآبائهم
- هم العباس وحمزة وعلى وجعفر ، روي عن ابن عباس
- هم عدول القيامة الذين يشهدون على كل أمة وهم فيها.
- هم قوم أنبياء
- قوم لهم صغائر لم تكفر في الدنيا، وليست لهم كبائر فيحبسون عن الجنة لتكفلا عنهم.
- هم أصحاب كبائر من أهل القبلة.
- هم أولاد الزنا .
- هم ملائكة موكلون بهذا السور يميزون الكافرين من المؤمنين قبل دخولهم الجنة والنار.

ولم يرجح ابن فرح -يرحمه الله- أي الأقوال ، ولكن استدل لبعضها ، والله أعلم[١].
ورجح ابن حزم -رحمه الله- أنهم من تساوت حسناتهم وسيئاتهم ، فلم تفضل له حسنة يدخل بها الجنة ، ولم يفضل له سيئة يدخل بها النار[٢] .

حال أهل الأعراف ومصيرهم

ذكر ابن حزم خطورة هذه المرتبة وهولها ونجاة أهلها في العاقبة ، واستدل عليها ، قال -يرحمه الله- : «وهي مرتبة خوف شديد وهول عظيم إلا أن العاقبة إلى سلامة» ، واستدل عليها بقوله: ﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [٣]

---

١ انظر أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي التذكرة، ص ٢٨٠، ٢٨١، والجامع لأحكام القرآن ٧/٢١١-٢١٤
٢ انظر رسائل ابن حزم ٣ / ١٥٦ ، والمحلى ١ / ٤٢
٣ سورة الأعراف الآية(٤٧)

«فهـذه الوقفـة لا يعدل همها والإشفاق منها سرور الدنيا ، ولكنهم ناجون من النار داخلـون الجـنة ؛ لأنه من نجا من النار فلا بد له من الجنة ، وليتنا نكون من هذه الصفة ، فوالله إنها لمن أبعد آمالي التي لا أدري كيف التوصل إليها إلا برحمة الله، وأما بعمل أعلمه مني فلا » [١].

كمـا لم يرجح الإمام القرطبي مآلهم ومصيرهم ، ولم يذكر رأيه في مثل ذلك ، ولكنه من خلال السياق يميل إلى أنهم من الناجين[٢] ، والله أعلم .

الفصل العاشر

خلق الجنة والنار وخلود أهلها

اتفق أهل السنة والجماعة على أن الجنة والنار مخلوقتان الآن ، لدلالة الكتاب والسـنة على ذلك ، ولكن هناك منْ أنكر خلقهما وأنهما لم تخلقا بعد لشبهة عرضت لهـم . فمـا الأدلة على خلقها؟ وأين الجنة والنار ؟ وهل دخلهما أحد من البشر قبل اليوم ؟ وهل يخلد أهل الجنة والنار ؟

الأدلة على خلق الجنة والنار

استدل العلماء الأندلسيون على خلق الجنة والنار بأدلة شرعية كثيرة جداً لا مجـال لحصـرها ، ومنهم الإمام ابن حزم ، «قال أبو محمد: والبرهان على أنهما مخلوقـتان بعـد إخبار النبي ﷺ أنه رأى الجنة ليلة الإسراء ، وأخبر عليه السلام أنه رأى سـدرة المنـتهى في السماء السادسة ، وقال تعالى: ﴿عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى﴾[٣] » [٤] ، وتكلم على ذلك في محلاه منوهاً باعتقاد الحق في ذلك [٥].

---

١ محمد علي بن حزم ،رسائل ابن حزم ٣ / ١٥٦ ، ١٥٧

٢ انظر أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي الجامع لأحكام القرآن ٧/٢١٣، والتذكرة، ص ١٧٩، ٢٨١،٢٨٠

٣ سورة النجم الآية(١٥)

٤ محمد علي بن حزم ، الفصل ٤ / ١٤١

٥ انظر محمد علي بن حزم ، المحلى ٨ / ٣١ ، ٩ / ٣٨٦

كمـــا استدل الإمام ابن عبد البر في استذكاره[1] بأدلة في ذلك بحديث: «..يا رب أكل بعضي بعضاً فخفف عني. قال فخفف عنها وجعل لها كل عام نفسين ، فما كـــان مـــن برد يهلك شيئاً فهو من زمهريرها ، وما كان من سموم يهلك شيئاً ، فهو مـــن حرها..» [2]. وقال: وفي هذا الحديث دليل على أن الجنة والنار مخلوقتان بعد وهو قول جماعة أهل السنة: أهل الفقه والحديث ..» [3].

وكـــذا تكلـــم علـــى المسألة في تمهيده[4] ، وذكر كثيراً من الأحاديث والآثار ومـــنها حديث: «..إن الله خلق الجنة وخلق لها أهلها ، وخلق النار وخلق لها أهلها » [5]. وقال: «الآثار في خلق الجنة والنار كثيرة جداً صحاح ثابتة يجب الإيمان بها والتسليم لما جاء منها وبالله التوفيق» [6].

وقـــرر الإمام الداني معتقد أهل السنة والجماعة بقوله: «ومن قولهم: إن الله ســـبحانه وتعـــالى قـــد خلق الجنة والنار قبل خلق آدم ﷺ ، خلقهما للبقاء لا للفناء وأعدهمـــا لأهـــل الـــثواب والعقاب» [7]. واستدل بأدلة منها: ﴿مثل الجنة التي وعد المـــتقون﴾[8] ، وبحديـــث : رأيـــت الجنة أو أريت فتناولت منها عنقوداً ولو أصبته لأكلـــتم مـــنه الدنيا وأريت النار فلم أر منظراً كاليوم قط أفظع ، ورأيت أكثر أهلها النساء..» [9].

---

١ انظر الاستذكار ١/ ٣٥٤

٢ رواه ابن حبان في صحيحه ٥٠٧/١٦ . وابن أبي شيبة في المصنف ٥١/٧ .

٣ الاستذكار ١ / ٣٥٤

٤ انظر التمهيد ١٨ / ٨٨ وما بعدها

٥ رواه مسلم ٢٠٥٠/٤ ، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة . وابن حبان في صحيحه ٣٤٨/١ .

٦ التمهيد ١٩ / ١١٥

٧ أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني ، الرسالة الوافية ، ص ١٠١

٨ سورة محمد الآية (١٥)

٩ رواه محمد بن إسماعيل البخاري ٢٦١/١ ، كتاب الصلاة ، باب رفع البصر إلى الأمام.. ، ومسلم ٢٦٢/٢ كـــتاب الصـــلاة ، بـــاب ما عرض على النبيﷺ في الصلاة . وأحمد في المسند ٢٩٨/١ . وابن ماجه ٩٠/١ وغيرهم

وقد بدّع الإمام القرطبي من أنكر خلقهما الآن ، واستدل عليها ، وذكر سقطة القاضي منذر بن سعيد البلوطي في إنكار خلق النار[١] .

خلود أهل الجنة والنار

عقـد الحافظ أبو العباس القرطبي[٢] باباً سماه: (باب ذبح الموت وخلود أهل الجـنة وأهل النار). واستدل بحديث أبي سعيد الخدري: «إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهـل الـنار الـنار ، يجاء بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح ، فيوقف بين الجنة والـنار ، فـيقال: يا أهل الجنة هل تعرفون هذا؟ فيشرئبون وينظرون ويقولون: نعم هـذا المـوت ، قـال ثم يقال: يا أهل النار هل تعرفون هذا؟ فيشرئبون وينظرون ويقولون: نعم هذا الموت ،قال فيؤمر به فيذبح. ثم يقال يا أهل الجنة خلود فلا موت ويأهل النار خلود فلا موت.. »[٣].

وقـال أبـو عمرو الداني –مقرراً اعتقاد أهل السنة والجماعة– :«.. خلقهما للبقاء لا للفناء وأعدهما لأهل الثواب والعقاب» [٤].

كما عقد الإمام ابن حزم[٥] فصلاً عن «الكلام في بقاء الجنة والنار أبداً..» ، وأورد أقوال الفرق فيها ، ورد عليها ، ثم ذكر الأدلة على خلود أهلها ، ومن ذلك قوله: «.. قال أبو محمد: والبرهان على بقاء الجنة والنار بلا نهاية قول الله تعالى: ﴿خَالِدِيـنَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [٦] وقـال تعالى في غير موضع من القرآن : ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ﴾ [٧] وقوله تعالى: ﴿لا

---

١ انظر أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي الجامع لأحكام القرآن ١ / ٢٣٦

٢ انظر المفهم ٧ / ١٩٠ ، ١٩١

٣ رواه محمد بن إسماعيل البخاري ١٧٦٠/٤ كتاب التفسير ، باب وأنذرهم يوم الحسرة . ومسلم ٢١٨٨/٤ ، كتاب صفة القيامة.. ، باب النار يدخلها الجبارون.. ، وأحمد في المسند ٤٢٣/٢ . وغيرهم

٤ أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني ، الرسالة الوافية ، ص ١٠١

٥ انظر الفصل ، ص ١٤٥ – ١٤٨

٦ سورة هود الآية (١٠٨)

٧ سورة النساء الآية (٥٧)

يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ (١) ، مع صحة الإجماع بذلك وبالله التوفيق » (٢).

كما ذكر ذلك في رسائله وأن من مات كافراً فهو مخلد في نار جهنم لا يخفف عنهم من عذابها ولا يقضى عليهم فيموتوا (٣).

مكان الجنة والنار

تكلم عدد قليل من العلماء الأندلسيين على هذه المسألة ، ومنهم الإمام الداني في إشارة مجملة . قال –بعد تقرير اعتقاد أهل السنة والجماعة في خلقهما–: «..وأن الجنة في أعلى عليين ، والنار في أسفل سافلين ، وأنهما لا يفنيان ولا يموت أهلوهما» (٤).

أما عن دخول البشر إليها فذكر «أن آدم عليه السلام خلق في جنة الخلد ، ومنها أهبط بخطيئته إلى الأرض على ما أخبر تعالى ﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾ (٥) » (٦)، وذكر أدلة أخرى يفهم منها أن الشيطان وسوس لهما في الجنة ، والله أعلم .

وذهب الإمام ابن حزم إلى الجنة في السماء السادسة ، فقال: «وأخبر عليه السلام أنه رأى سدرة المنتهى في السماء السادسة ، وقال تعالى: ﴿ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾(٧) ، فصح أن جنة المأوى هي السماء السادسة ، وقد أخبر الله

---

١ سورة الدخان الآية (٥٦)

٢ محمد علي بن حزم ، الفصل ٤ / ١٤٨

٣ انظر محمد علي بن حزم ، رسائل ابن حزم ٣ / ١٢٩

٤ أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني ، الرسالة الوافية ، ص ١٠٣

٥ سورة طـه الآية (١١٧)

٦ أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني ، الرسالة الوافية ، ص ١٠٣

٧ سورة النجم الآية (١٤ ، ١٥)

ﷺ أنها الجنة التي يدخلها المؤمنون يوم القيامة» [١]، وقال بعد كلام له: «فصح أن الجنة هي السموات» [٢].

وعن دخول البشر إليها سابقاً ، شدد ابن حزم على دخول آدم إليها مع زوجه ، ورد -على من زعم أنها جنة أخرى غير جنة المأوى- ردوداً عقلية وشرعية فريدة ، ويفهم من فحوى سياقها أن إبليس كان كذلك في الجنة معهما[٣] ، وبالله التوفيق .

الفصل الحادي عشر

خروج أهل الكبائر من النار

مما يعتقده أهل الحق أن أهل النار منهم من يخرج منها بإذن الله تعالى ورحمته ، وسنوضح حكم الإيمان به والدليل عليه ، ومن الذي أنكر خروجهم؟ وما حال الخارجين منها وإلى أين يذهبون ؟

دليل خروجهم من النار وحكم الإيمان به

استدل علماء الأندلس على هذه العقيدة بأدلة عدة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وأورد ابن حزم [٤] للاستدلال على ذلك بحديث أبي سعيد الخدري « إني لأعلم آخر أهل النار خروجاً منها وآخر أهل الجنة دخولاً رجل يخرج من النار حبواً..» [٥]. وقال مخاطباً طلابه: «وهذا حديث صحيح فلا يدخلنكم فيه داخلة» [٦].

---

١ محمد علي بن حزم ، الفصل ٤ / ١٤١

٢ المصدر السابق ٤ / ١٤٢

٣ انظر المصدر نفسه ٤ / ١٤٢ - ١٤٤

٤ انظر محمد علي بن حزم ، رسائل ابن حزم ٣ / ١٥٨

٥ رواه محمد بن إسماعيل البخاري ٢٤٠٢/٥ كتاب الرقاق ، باب صفة الجنة والنار.. ، ومسلم ١٧٣/١ ، باب آخر أهل النار خروجاً . وغيرهما

٦ محمد علي بن حزم رسائل ابن حزم ٣ / ١٥٨ ، ١٥٩

كما بوب الإمام أبو العباس القرطبي لذلك باباً : (باب آخر من يخرج من النار وآخر من يدخل الجنة) ، واستدل بحديث عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ : « إني لأعلم آخر أهل النار خروجاً منها وآخر أهل الجنة دخولاً..» [١].

كما ذكر القرطبي ابن فرح [٢] ، أدلة كثيرة عليها ، منها الحديث الطويل في وصفهم: «أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون ولكن أناس تصيبهم النار بذنوبهم فتميتهم إماتة حتى إذا صاروا فحماً أذن في الشفاعة جيء بهم ضبائر ضبائر فبثوا على أنهار الجنة ، فيقال يا أهل الجنة أفيضوا عليهم ؛ فينبتون نبات الحبة تكون في حميل السيل ، فقال رجل من القوم: كأن رسول ﷺ كان بالبادية »[٣]. وقال في حق أهل الكبائر وخروجهم من النار: «والآثار في هذا كثيرة متواترة والجماعة أهل السنة على التصديق بها ولا ينكرها إلا أهل البدع»[٤].

المنكرون لخروج أهل الكبائر من النار

بين القرطبي أن المنكرين للخروج من النار هم طائفة من أهل البدع ، وهي مسألة الشفاعة في أهل الكبائر ، وقد تقدم الحديث على ذلك .

وفي حديثه على الشفاعة في تذكرته في الشفاعة الرابعة: فيمن دخل النار من المذنبين ، فيخرج بشفاعة نبينا وغيره من الأنبياء وإخوانهم المؤمنين ، وقال: «قلت: وهذه الشفاعة أنكرتها المعتزلة أيضاً ، وإذ منعوها فيمن استوجب النار بذنبه ، وإن لم يدخلها فأحرى أن يمنعوها فيمن دخلها» [٥].

---

١ سبق تخريجه أعلاه .

٢ انظر أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي الجامع لأحكام القرآن ٥ / ١٩٦ ، ٢٥٠/١ ، ٢٨١/٤

٣ سبق تخريجه آنفاً في الفصل الرابع .

٤ انظر أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي الجامع لأحكام القرآن ١٦ / ٦٩

٥ أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي التذكرة ، ص ٢١٨

وفي تفسيره ذكر هذه المنزلة ، ورمى منكريها بأنهم أهل البدع إذ «الآثار في هــذا كثيرة متواترة ، والجماعة أهل السنة على التصديق بها ، ولا ينكرها إلا أهل البدع»[1].

حال الخارجين من النار

مما دلت عليه الأدلة الشرعية بؤس وشقاء من غمس غمسة في جهنم ونسيانه كــل نعيم في الدنيا حتى وإن كان أنعم أهلها ، فكيف بمن مكث فيها أحقاباً ، ثم حكم المولى العدل بخروجه منها ؟

تكلــم العلماء على بعض ملامح هؤلاء القوم من خلال الأدلة الشرعية ، فابن حــزم يصور حال هؤلاء البؤساء -أجارنا الله من حالهم- ويتمنى أن ينجو كما نجو لما: «جاءت الشفاعة التي ادخرها الله لنبيه ﷺ وجاءت الرحمة التي ادخرها الله لذلك اليوم الفظيع والموقف الشنيع ، وأخرجوا كلهم من النار فوجاً بعد فوج بعدما امتحشو ا وصــاروا حممــاً . والله أيها الأخوة لولا أن عذاب الله لا يهون منه شئ لا يتمناه عــاقل لتمنيــت أن أكون من هؤلاء خوفاً من خاتمة سوء ، وأعوذ بالله مما يوجب الخلود..» [2]. ثم ذكر نقولاً عن السلف في هذا الشأن.

وذهــب القرطبــي إلى خروجهم من النار -بعد أن ماتوا فيها ميتة حقيقية- وأورد حديــث أبــي سعيد الخدري الآنف : « أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتــون فيها ولا يحيون ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم أو قال بخطاياهم فأماتهم الله إماتــة حتى إذا كانوا فحماً إذن في الشفاعة فجيء بهم ضبائر ضبائر فبثوا على أنهــار الجــنة ، ثم قيل: يا أهل الجنة أفيضوا عليهم ، فينبتون نبات الحبة تكون في حميل السيل ، فقال رجل من القوم: كأن رسول الله ﷺ قد كان يرعى بالبادية » [3].

---

١ أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي   الجامع لأحكام القرآن ، ١٠ / ٣١٠

٢ محمد علي بن حزم ، رسائل ابن حزم ٣ / ١٥٧ ، ١٥٨

٣ أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي التذكرة ، ص ٢١٨

وقـــال: «فصـــل: هذه الموتة موتة حقيقية ؛ لأنه أكدها بالمصدر ، وذلك تكريماً لهم حتى لا يحسوا ألم العذاب بعد الاحتراق بخلاف الحي الذي هو من أهلها..» [١].

وذكر أقوالاً أخرى بصيغة التضعيف ، والله أعلم .

الفصل الثاني عشر

هل يفنى الكفار بعد النار

لـــم يكـــثر علماء الأندلس الكلام حول هذه المرتبة ، بل تكلموا على ما دلت عليه الأدلة الشرعية ، وهو مسألة خلود الكافرين في النار أبداً.

وقـــد استدل القرطبي بأدلة عدة ، وبوب: (باب ذبح الموت وخلود أهل الجنة الجـــنة وأهل النار النار) ، ومن الأدلة التي أوردها حديث أبي سعيد الخدري الآنف الـــذي ذكرته في أول هذا الفصل ومما ذكره في شرحه: «إن الله تعالى خلق صورة كـــبش خلق فيها الموت ، فلما رآه أهل الجنة وأهل النار عرفوه ، فعل الله فيه فعلاً يشـــبه الذبح ، أعدمه عند ذلك الفعل حتى يأمنه أهل الجنة ؛ فيزدادوا شعوراً سروراً إلى سرورهم ، وييأس أهل النار ، فيزدادوا حزناً إلى حزنهم»[٢].

وصـــرح ابن حزم بذلك في كتبه وشدد عليه لدلالة الكتاب والسنة على ذلك ، وممـــا ذكـــره فـــي هذا الأمر: «المرتبة العاشرة: فهي مرتبة السحق والبعد والهلكة الأبديـــة ، وهـــي مرتبة من مات كافراً ، فهو مخلد في نار جهنم لايخفف عنهم من عذابهـــا ، ولا يقضى عليهم فيموتوا ، خالدين فيها أبداً ، سواء صبروا أم جزعوا ما لهم من محيص ، اللهم عياذك عياذك من ذلك»[٣].

---

١ أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي التذكرة ، ص ٢٩٥ ، ٢٩٦

٢ أحمد بن عمر القرطبي ، المفهم ٧ / ١٩٠ ، ١٩١

٣ محمد علي بن حزم ،رسائل ابن حزم ٣ / ١٥٩

الفصل الثالث عشر

حكم الأطفال في الآخرة

ذهـــب أبـــو عمرو الداني إلى أن أطفال الأنبياء وجميع المؤمنين في الجنة ، وحكـــى أن ذلك مذهب أهل السنة والجماعة[١] ،واستدل بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [٢].

*** أطفال المشركين :**

ذكـــر الداني اختلاف الآثار في مصيرهم وذكر ستة أقوال ، ومال إلى أحدها ، وهي اختصاراً :

١- أنهم خدم أهل الجنة

٢- أنهم في الجنة

٣- أنهم مع آبائهم في النار

٤- أنهم يمتحنون بنار في الآخرة .. الخ

٥- أن منهم شقي وسعيد وهم في المشيئة

٦- أنهم ليسوا مع آبائهم ؛ لأنهم ماتوا في الميثاق

ورجح أحد القولين الأولين ، وقال بأنه الأولى[٣] ، والله أعلم أنه أراد أنهم في الجنة ؛ لأنه أورد فيها بعض الآثار.

كمـــا اســـتعرض الإمـــام ابن عبد البر أقوال أهل العلم في أبواب عدة بلغت عشـــرات الصـــفحات ، فذكـــر باب إخبار الشهادة لأطفال المسلمين بالجنة ، وباب الوقـــوف عـــن الشـــهادة لهم ولغيرهم بجنة أو نار . وباب أخبار من شهد لأطفال المشـــركين بدخول الجنة. وأورد في هذا الباب حديث الرؤيا الطويل ، وفيه قوله ﷺ : «..وأما الرجل الطويل الذي في الروضة فإنه إبراهيم عليه السلام وأما الولدان حوله فكل مولـــود يولد على الفطرة . قال فقيل يا رسول الله وأولاد المشركين فقال رسول الله

---

١ انظر أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني ، الرسالة الوافية ، ص ١٢١

٢ سورة الطور الآية (٢١)

٣ انظر أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني ، الرسالة الوافية ، ص ١٢٢ - ١٢٥

ﷺ وأولاد المشـــركين» [١] وذكـــر مـــا يفيد ميله إلى دخولهم الجنة: «وهذا يقتضي ظاهره وعمومه جميع الناس »[٢].

وذكـــر كذلك (باب أخبار من شهد لأطفال المشركين بالنار) ، ورد كثيراً من الآثـــار الواردة ، وأن بعضها عورض بما هو أقوى منه[٣]. وذكر أبواباً أخرى في المسألة أعرضت عن ذكرها لعدم الإطالة ، وكلام الإمام ابن عبد البر أجمع كلام في هـــذه المسألة ، وغالباً ما يرد أهل العلم القول إليه فيها ؛ لأنه جمع أحاديثها ودرس أسانيدها وحكم عليها.

ومـــنهم الإمـــام القرطبي[٤] ، فقد تعقب القول فيها وأورد صفحات من كلام الإمام ابن عبد البر ، وبالله التوفيق.

*** أطفال المسلمين :**

كمـــا تكلم الإمام ابن عبد البر[٥] ، على هذه المسألة ، وذكر اختلاف العلماء فيها ، وذهـــب إلى أن أطفال المسلمين في الجنة ، واستدل بأدلة منها حديث: «ما من مسلم يمـــوت له ثلاثـــة من الولد لم يبلغوا الحنث إلا ادخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم يجـــاء بهـــم يوم القيامة فيقال لهم ادخلوا الجنة فيقولون حتى يدخل آباؤنا فيقال لهم ادخلـــوا أنتم وآباؤكم بفضل رحمتي»[٦]. وقال عن دلالة الحديث فيه «دليل على أن أطفال المسلمين في الجنة لا محالة والله أ علم»[٧].

---

١ رواه محمـــد بـــن إســـماعيل البخاري ٥٢٨٥/٦ ، كتاب الرؤيا ، باب تعبير الرؤيا بعد الصبح . وأحمد في مسنده ٨/٥

٢ التمهيد ١٨ / ١١٨ .

٣ انظر المصدر السابق ١٨ / ١١٩ - ١٢٣

٤ انظر أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي الجامع لأحكام القرآن ١١ / ١٤٠

٥ انظر التمهيد ٦ / ٣٤٨ ، ١٨/ ٧٩ ، ٩٦ ، ١١٢ ، ١١٢ ، ١١٥ ، ١٢٦

٦ رواه محمـــد بـــن إسماعيل البخاري كتاب الجنائز ، باب فضل من مات له ولد . ومسلم ٢٠٢٩/٤ ، باب فضل من يموت له ولد فيحتسبه .

٧ التمهيد ٦ / ٣٤٨

وقال في موضع آخر: «..وإن مات طفل من أطفال المسلمين قبل الاكتساب فهـو ممـن سـعد في بطن أمه بدليل ما ذكرنا من الأحاديث والإجماع»[1] كما رد حديث عائشة بنت طلحة ، عصفور من عصافير الجنة .. الخ

أمـا الإمـام ابن رشد (الجد) فقد أورد في فتاواه فصلاً مطولاً تكلم فيه على مصـير الأطفـال ، وبعـد استعراضـه الأدلة والأقوال قال: «فيتحصل في أطفال المسلمين قولان:

أحدهما: أنهم في الجنة

الثاني: أنهم في المشيئة

وفي أطفال المشركين:

أحدها: أنهم في الجنة

الثاني: أنهم في المشيئة

الثالث: أنهم في النار » [2].

وقـال بعـد كلام طويل في التعليق على الأحاديث والآثار والأقوال : «والذي تدل علـيه الآثـار أن أطفـال المسـلمين في الجنة ، فنحن نعلم ذلك يقيناً لشهادة الآثار المـتواترة بذلـك..» ، وقـال بعد إيراد جملة منها: «.. إلا أننا لا نقطع بذلك على التعمـيم فـي حق كل واحد منهم ن لعم النص في ذلك والإجماع المعصوم لحديث عائشة المذكور» [3].

وقـال فـي الخلاصة على أقوال المشركين بما فحواه: أن الآثار التي وردت أنهم في الجنة عن قوم مخصوصين منهم سبقت لهم السعادة في الكتاب. ومن وردت فـيهم نصـوص أنهم في النار فهم قوم مخصوصون ممن سبقت لهم الشقاوة في أم الكتاب ، فنقول إنهم في المشيئة ، كما نقول في عصاة المسلمين [4].

---

١ المصدر السابق ٦ / ٣٥٠

٢ فتاوى ابن رشد ٣ / ٦٥٢

٣ المصدر السابق ٣ / ٦٦٢ ، ٦٦٣

٤ انظر المصدر نفسه ٣ /٦٦٤ ، ٦٦٥

الخاتمة والنتائج

نحمـــدك اللهـــم ونصـــلي ونسلم على عبد المصطفي ونبيك المجتبى وعلى آله وصـــحبه أولي النهى ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وبعد ، فأحمد الله على إتمامي لهـــذا البحـــث وأعتذر إلى القارئ الكريم إن وجد فيه بعض النقص ، إذ هذا من لوازم البشر وإنما الكمال لله وحده ، وأود أن أوجز بعض النتائج التي توصلت إليها فيه :

١- أن العلماء الأندلسيين يعتقدون معتقد أهل السنة والجماعة في عقيدة الإيمان باليوم الآخر ، وأن لهم الباع الطويل في تقرير مسائل أصول الدين .

٢- أن العلمـــاء فـــي الأندلس أولوا عقيدة البعث الأخروي الأهمية اللائقة به ، فأبانوه ونافحوا عنه وردوا على المبطلين فيه .

٣- أنهم بينوا أن الحشر أربعة أنواع ، حشران في الدنيا وحشران في الآخرة .

٤- أنهـــم أوضحوا أن إسرافيل هو النافخ في الصور ، وأنهما نفختان ، واحدة للصعق والموت ، والأخرى للبعث والنشور .

٥- أنهم قرروا أن يوم الحشر به أحوال وأحداث جسام ، وأن مقداره كما ورد في الأدلة (خمسون ألف سنة) .

٦- أنهم بينوا أن الموقف به عقوبات كبيرة ، وبه نعم كثيرة كل بحسب عمله .

٧- أنهـــم قـــرروا معـــتقد الشـــفاعة وأبانوا أنها عدة أنواع ، وأن منها شفاعة ممنوعة وشفاعات مأذونة ، كما ردوا على من أنكرها .

٨- أنهـــم ردوا علـــى بعض الشبهات التي يثيرها بعض الملاحدة في الموقف والعرض والحساب .

٩- أنهم أوضحوا حقيقة الميزان ، وأنه حق توزن به الأعمال ، كما ردوا على منكريه من أهل البدع .

١٠-أنهـــم بيـــنوا أن الصـــراط حق ، وأنه على متن جهنم ، وصراط آخر هو القنطرة بين جنهم والجنة .

١١-أنهـــم استدلوا وقرروا أن الجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان أبداً ولا تبيدان ، وأن أهلهما يخلدون فيها ، وأن الموحدين يخرجون من النار .

١٢-أنهـــم أبـــانوا أن أطفـــال المسلمين في الجنة ، واختلفوا في مصير أطفال المشركين .

فهارس المصادر والمراجع

المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، للقاضي عبد الحق بن عطية الأندلسي تحقيق: المجلس العلمي بفاس ، وزارة الأوقاف بالمغرب ، ط. الثانية ١٣٩٥ ـ ١٩٧٥)

جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، لأبي عبد الله محمد بن أبي نصر الحميدي ، تحقيق: إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب المصري ، دار الكتاب اللبناني ، ط. الثالثة ١٤١٠هـ ١٩٨٩م

ابن حزم حياته وعصره وآراءه وفقهه ، للشيخ محمد أبو زهرة دار الفكر العربي

الفصل في الملل والنحل ، لأبي محمد علي بن حزم ، تحقيق: د. محمد نصرو ، د. عبد الرحمن عميرة ، دار الجيل (بيروت) ، دار القلم

الجامع الصحيح المختصر ، محمد بن إسماعيل البخاري ،تحقيق: مصطفى البغا ، دار ابن كثير (بيروت) ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م

صحيح مسلم ، لمسلم بن الحجاج النيسابوري ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي(بيروت) ١٣٧٤هـ ١٩٥٤م

المحلى لأبي محمد أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي دار الفكر (بيروت) ، تحقيق: أحمد شاكر (القاهرة) ، إدارة الطباعة المنيرية ١٣٤٨هـ

المسند للإمام أحمد بن حنبل ، مؤسسة قرطبة بمصر (عن النسخة الميمنية)

صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان ، للإمام محمد بن حبان التميمي ، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة (بيروت) ١٤١٤هـ ١٩٩م

المصنف، لأبي بكر بن أبي شيبة ، ت: كمال الحوت ، مكتبة الرشد (الرياض) ط. الأولى ١٤٠٩هـ

مسند أبي يعلى ، أحمد بن على أبو يعلى الموصلي ، ت: حسن سليم أسد ، دار المأمون للتراث ، ط . ١٤٠٤هـ

المستدرك على الصحيحين ، محمد بن عبد الله الحاكم ، ت: مصطفى عبدالقادر عطا ، دار الكتب العلمية ، ١٤١١هـ (بيروت)

الجامع الصحيح ، محمد بن عيسى الترمذي ، مراجعة: أحمد محمد شاكر ، وآخرون ، دار إحياء التراث الإسلامي (بيروت)

السنن ، سليمان بن الأشعث السجستاني ، مراجعة:محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الفكر

الاعتصام ، لأبي إسحاق الشاطي ، مكتبه الرياض الحديثة ، تحقيق: محمد رشيد رضا

فتاوى الإمام الشاطبي ، ت : محمد أبو الأجفان ، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ - ١٩٨٦م

كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، مصطفى القسطنطيني الرومي ، دار الكتب العلمية (بيروت) ١٤١٣هـ ١٩٩٢م)

المعجم الكبير ، سليمان بن أحمد الطبراني أبو القاسم تحقيق: د. حمدي السلفي ، مكتبة دار العلوم والحكم (الموصل) ١٤٠هـ

شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، عبد الحي بن أحمد الدمشقي ، دار الكتب العلمية (بيروت)

المرقبة العليا فيمن يستحق لقضاء والفتيا، لأبي الحسن النباهي ، تحقيق: د. مريم الطويل ، دار الكتب العلمية (بيروت) ، ط. الأولى ١٤١٥هـ ١٩٩٥م)

الصلة ، لأبي القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال ، تحقيق: إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب المصري ، (القاهرة) دار الكتاب اللبناني ، (بيروت) ط. الأولى ١٤١٠هـ ١٩٨٩م

آراء **ابن العربي ا لكلامية** ، **(العواصم من القواصم)** ، ت: عمار طالبي ، طبعة الجزائر .

التسهيل لعلوم التنزيل ، للإمام محمد بن أحمد بن جزيّ الكلبي ، دار الكتاب العربي ، ط. الثانية ، ١٣٩٣ ـ ١٩٧٣) .

ابن حزم الأندلسي وجهوده في البحث التاريخي والحضاري د. عبد الحليم عويس ، دار الاعتصام

الذخـيرة في محاسن أهل الجزيرة ، لأبي الحسن بن بسام الشنتريني ، دار الثقافة (بيروت) ، ١٣٩٩هـ ١٩٧٨)

الصـلة ، لأبي القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال ، تحقيق: إبراهيم الأبياري ، دار الكـتاب المصـري ، (القاهـرة) دار الكتاب اللبناني ، (بيروت) ط. الأولى ١٤١٠هـ ١٩٨٩م

التمهـيد لمـا في الموطأ من الأسانيد ، يوسف بن عبد البر النمري ، ت: مصطفى البكري ، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية (المغرب) ١٣٨٧هـ

الاسـتذكار الجامع لمذهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار فيما تضمنه الموطأ من المعانـي والآثار ، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر ، تحقيق: عبد المعطي قلعجي ، مؤسسة الرسالة ١٤١هـ ١٩٩٣م

السنة، لابن أبي عاصم الشيباني،ت: محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي (بيروت) ط. الأولى ١٤٠٠هـ

سـنن النسائي الكبرى ، أحمد بن شعيب النسائي ، ت: عبد الفتاح أبو غدة ، مكتب المطبوعات الإسلامية (حلب) ١٤٠٦هـ

السـنن الكبرى ، أحمد بن الحسين البيهقي ، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ، مكتبة الباز (مكة) ١٤١هـ ١٩٩٤م

كشـف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، مصطفى القسطنطيني الرومي ، دار الكتب العلمية (بيروت) ١٤١٣هـ ١٩٩٢م

البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل في مسائل المستخرجة ، لأبي الوليد أحمد بن محمد بن رشد (الجد) ، تحقيق: محمد صبحي ، وأخرون حسب الأجزاء ، دار الغرب الإسلامي ، ط. الثانية ، ١٤٠٨هـ ١٩٧م

الرسالة الوافية ، لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني ، ت: د. محمد سعيد القحطاني ، دار ابن الجوزي ، ط. الأولى ١٤١٩هـ

المفهـــم لما أشكل من تلخيص مسلم ، لأبي العباس أحمد بن عمر القرطبي تحقيق: محيي الدين مستو وغيره، دار ابن كثير ، ط. الأولى١٤١٧هـ

البحر المحيط ، محمد بن يوسف ، الشهير بابن حيان الأندلسي الغرناطي ، وبهامشه النهر الماد من البحر المحيط ، له أيضاً ط. الثانية، دار الفكر ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣). وكذا طبعة أخرى

مسند أبي يعلى ، أحمد بن علي الموصلي ، ت: إرشاد الحق ، إدارة العلوم الأثرية ١٤٠٧هـ

المصـــنف ، لأبـــي بكر عبد الله بن أبي شيبة ، ت: كمال الحوت ، مكتبة الرشد – الرياض ١٤٠٩هـ

صـــحيح ابن خزيمة ، محمد بن إسحاق بن خزيمة ، ت: محمد الأعظمي ، المكتب الإسلامي ١٣٩٠هـ

مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، علي بن أبي بكر الهيثمي ، دار الريان للتراث ، دار الكتاب العربي – القاهرة ، بيروت ١٤٠٧هـ

مسند الطيالسي ، سليمان بن داود الطيالسي ، دار المعرفة – بيروت

فتاوى ابن رشد ، للإمام محمد بن أحمد بن رشد(الجد) ، تحقيق: المختار بن الطاهر التليلي ، ط. الأولى ، دار الغرب

ســـنن ابن ماجه ، للإمام محمد بن يزيد القزويني البغدادي ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الفكر (بيروت) .

ســـنن الدارمـــي ، عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي ، ت: فواز أحمد ، دار الكتاب العربي – بيروت ١٤٠٧هـ

الفـــائق (فـــي غريـــب الحديث) محمود بن عمر الزمخشري ، ت: على البجاوي ، محمد أبو الفضل ، دار المعرفة (لبنان) ط. الثانية .

شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ، أبو القاسم هبة الله بن الحسن اللالكائي ، ت: أحمد بن سعد الغامدي ، دار طيبة (الرياض) ١٤٠٢هـ .

مسند ابن راهويه ، لإسحاق بن إبراهيم المروزي ، ت: عبد الغفور عبد الحق البلوشي ، مكتبة الإيمان بالمدينة المنورة ، ط ، الأولى ١٩٩٥ .

شعب الإيمان ، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي ، ت: محمد السعيد زغلول ، دار الكتب العلمية (بيروت) ط. الأولى ١٤١٠هـ

العظمة ، عبد الله بن محمد الأصبهاني ، ت: رضاء الله بن محمد المباركفوري ، دار العاصمة (الرياض) ط. الأولى ١٤٠٨هـ

لسان العرب ، محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري ، دار صادر (بيروت) ، ط. الأولى

السنن الواردة في الفتن ، لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني ،ت: رضاء الله بن محمد المباركفوري ، دار العاصمة (الرياض) ط. الأولى ١٤١٦هـ

مسند الحارث (زوائد الهيثمي) ، الحارث بن أسامة ، الحافظ نور الدين الهيثمي ، ت: حسين أحمد الباكري ، مركز خدمة السنة والسيرة (المدينة المنورة) ط. الأولى ١٤١٣هـ ، ١٩٩٢ .

مسند عبد بن حميد ، لأبي محمد عبد بن حميد بن نصر الكسي ، ت: صبحي السامرائي ، محمود الصعيدي ، مكتبة السنة (القاهرة) ط. الأولى ، ١٤٠٨هـ ١٩٨٨ .

مسند البزار ، لأبي بكر أحمد بن عمرو البزار ، ت: محفوظ الرحمن زيد الله ، مؤسسة علوم القرآن مكتبة العلوم والحكم ، (بيروت، المدينة المنورة) ط. الأولى ١٤٠٩هـ

مسند الشهاب ، لمحمد بن سلامة القضاعي ، ت: حمدي السلفي ، مؤسسة الرسالة (بيروت) ط. الثانية ، (بيروت) ١٤٠٧هـ ١٩٨٦ .

مسند الشاميين ، سليمان بن أحمد الطبراني ، ت: حمدي السلفي ، دار الرسالة (بيروت) ط. الأولى ١٤٠٥ ، ١٩٨٤ .